دور التدبر في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به لدى الأطفال
برنامج المتدبر الصغير أنموذجًا

د. شريف طه يونس

السيرة الذاتية

الاسم: شريف طه أحمد محمد يونس.

مكان الميلاد وتاريخه: مصر ـ محافظة بني سويف ـ مركز إهناسيا (٣ أبريل ١٩٨٣م).

المؤهل العلمي: بكالوريوس الطب البشري (٢٠٠٦) ـ ماجستير طب الأطفال (٢٠١٣) ـ دبلوم معهد إعداد الدعاة (٢٠١٠) ـ دبلوم إدارة الموارد البشرية جامعة أشتاين (٢٠١٢).

التخصص العلمي العام: طبيب بشري ـ باحث شرعي.

التخصص العلمي الدقيق: طب الأطفال والمبتسرين ـ باحث في التدبر وعلوم القرآن.

العمل الحالي: أخصائي طب الأطفال وحديثي الولادة ـ رئيس مجلس إدارة جمعية روح الحياة للخدمات الطبية والعلمية والتنموية ـ رئيس مجلس إدارة معهد العلم والعمل.

*** الإنتاج العلمي:**

*** الكتب:**

١ ـ ثورة القرآن.

٢ ـ رحلة البحث عن أهل القرآن.

٣ ـ تيسير التدبر.

*** البحوث:**

١ ـ حقوق الإنسان في الإسلام.

٢ ـ صيانة النفس الإنسانية في السنة النبوية.

٣ ـ دور عسل النحل في علاج الإسهال عند الأطفال الرضع.

*** المشاركة في المؤتمرات والندوات:**

١ ـ المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن الكريم بقطر ٢٠١٣.

*** العنوان:** مصر ـ بني سويف ـ مدينة بني سويف ـ خلف مجمع المحاكم.

*** الهاتف:** ٠٠٢٠١١٤٢٥٧٣٨٨٠

*** البريد الإلكتروني:** Together4thebest@gmail.com

ملخص البحث

بالتأمل في واقع أطفالنا مع القرآن الكريم نلمح بوضوح **استثقال كثيرٍ منهم لتعلُّمه**، وإعراض بعضهم عنه، ومن جهةٍ أخرى نجد بين المقبلين على تعلُّمه **تقصيرًا في العمل به واستثقالًا لاتِّباعه**.

ولعلَّ من أهمِّ أسباب هذه الظواهر **إغفال المنهجية النبوية** المتكاملة في التعامل مع القرآن، لاسيما في أمر تدبره، والذي يعدُّ **حلقة الوصل** بين العلم والعمل، والشرارة التي تقدح زناد الاجتهاد فيهما معًا.

وقد كان انشغالنا الأكبر في مشروع (القرآن علم وعمل) بتأطير التدبُّر وتقريبه للكبار وتدريبهم عليه، ومن خلال **متابعة واقع التعليم القرآنيِّ للأطفال**، ورصد بعض أَوْجُه الخلل والقصور به، وبمباحثة كثيرٍ من **المهتمين بشأن الطفل والمتخصصين في التعليم القرآنيّ** ممن درسوا مشروع (القرآن علم وعمل) وطبَّقوه = فقد اتَّفقت الآراء على أنَّ **الأطفال أحوج لهذا المشروع من الكبار** وأنهم أولى به منهم. ورأوا أنه سيحدث نقلة نوعية ـ إن شاء الله ـ في صياغة الشخصية المتكاملة للطفل، والإسهام في نموِّه العقليِّ؛ فضلًا عن **الارتقاء بحفظه وفهمه للقرآن وإقباله عليه**، ومن ثَمَّ استعنت بالله، وشرعت في إعداد برنامجٍ مُنبثقٍ عن مشروع (القرآن علم وعمل) **يلائم الأطفال، ويكون عمليًّا ميسرًا**، أسميتُه مشروع (المتدبِّر الصغير).

وقد أَكَّدَ هذا البحث نظريًّا وعمليًّا أنَّ برنامج (المتدبر الصغير)، والذي يهدف إلى تعليم الأطفال القرآن بالمنهجية النبوية (الإيمان قبل القرآن)؛ قد **أسهم في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به**، كما أثمر العديد من الفوائد السلوكية والعملية والتعليمية للأطفال اللذين خضعوا للدراسةِ.

وقد كان البحث عبارة عن **إطارين**: الأول منه كان **تنظيريًّا (أكاديميًّا)** يهدف إلى التأصيل لأمثل منهجية لتعليم الأطفال القرآن (المنهجية النبوية)، ومميزاتها والحاجة إليها والتحديات المتعلقة بإحيائها.

أما الثاني فكان **تطبيقيًّا (عمليًّا)** لتفعيل ما تمَّ تأصيله نظريًّا من المنهجية النبوية في التعليم القرآني للأطفال، في واقع أطفالنا اليوم.

مقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومَن اتَّبع هداهم إلى يوم الدين، ثمَّ أمَّا بعد؛

فبقليل من التأمل في واقع أطفالنا مع القرآن الكريم نستشعر **استثقال كثيرٍ منهم لتعلُّمه**، وإعراض بعضهم عنه، ومن جهةٍ أخرى؛ نجد بين المقبلين على تعلُّمه **تقصيرًا في العمل به واستثقالًا لاتِّباعه**.

ولعلَّ من أهمِّ أسباب هذه الظواهر: **إغفال المنهجية النبوية** المتكاملة في التعامل مع القرآن، لاسيما في أمر تدبره، والذي يعدُّ **حلقة الوصل** بين العلم والعمل، والشرارة التي تقدح زناد الاجتهاد فيهما معًا.

ولا خلافَ في أنَّ **مرحلة الطفولةِ من أخصب مراحل النموِّ وأهمِّها**، وأنَّ الاجتهاد في استثمار خصائص النموِّ المُميَّزة في هذه المرحلة ينعكسُ إيجابًا على جودة صناعة الإنسانِ الفاعل في تقدُّم مجتمعه وأمَّته، ومن هنا أولت الأدبيات التربوية المعاصرة في مجال منهج تربية الطفولة المبكرة اهتمامًا واضحًا بالمؤثِّرات والخبرات المنظَّمة التي تُقدَّم للطفل، والتي تُسهم في تشكيل شخصيته، وتكوين سلوكه

ووجدانه. وقد اتفق أساتذة علم نفس الطفل والتربية المُعاصرين على ضرورة أن يكون كافة ما يقدم للأطفال خلال مختلف مراحل النمو من مناهج وبرامج واستراتيجيات وأنشطة: متمركزًا حول الطفل Child Centred، ويعني ذلك أن يُبنَى جميع هذه المناهج والبرامج والإستراتيجيات والأنشطة على أساس المعرفة الدقيقة والعميقة بخصائص الأطفال ومعالم نموهم في مختلف جوانبهم، كما يعني ذلك أيضًا أن يتناسب ما يقدَّم للأطفال من برامج وموادَّ مع مستوى نموهم، ومع مهاراتهم وقدراتهم، كما يجب أن تُحقِّق هذه البرامج والأنشطة والمواد حاجات الأطفال، وأن تقدم لهم بأساليب وطرق تجذبهم وتحبِّبهم فيما يُقدَّم لهم، وتجعل استفادتهم من جميع هذه المواد استفادةً حقيقية باقية وفعالة؛ بإشراكهم فيها اشتراكًا فعَّالًا ومباشرًا[(١)].

وقد كان انشغالنا الأكبر في مشروع (القرآن علم وعمل)[(٢)] بتأطير التدبُّر وتقريبه للكبار وتدريبهم عليه، ومن خلال **متابعة واقع التعليم القرآنيّ للأطفال**، ورصد بعض أَوْجُه الخلل والقصور به، وبمباحثة كثيرٍ من **المهتمين بشأن الطفل والمتخصصين في التعليم القرآنيّ** ممن درسوا

---

(١) انظر: خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص٤).

(٢) والمشروع عبارة عن برنامج عملي مرتب بصورة ميسرة، يتناول طبيعة العلاقة بالقرآن الكريم، ويحرر العديد من المفاهيم، ويهدف إلى إعانة المسلمين على تدبر القرآن والانتفاع الكامل به، مما يؤهلهم للظفر بوصف أهل القرآن، ويضع لذلك خطة أصيلة محكمة يتم من خلالها إحياء منهج النبي وأصحابه في التدبر والعلم والعمل مع الانتفاع بكافة الوسائل الحديثة في التعليم والتدريب. فقد يسر المشروع التدبر وجعله في المتناول، ووضعه في إطار عملي متكامل. وقد تم بفضل الله تطبيق البرنامج لمدة تربو على عشر سنوات على ما يجاوز ٥٠٠٠ شخص في مايقارب عشر دول مختلفة.

مشروع (القرآن علم وعمل) وطبَّقوه = فقد اتَّفقت الآراء على أنَّ **الأطفال أحوج لهذا المشروع من الكبار** وأنهم أولى به منهم، وكان بعضهم أكثر حماسة مني لتطبيق المشروع على الصغار، ورأوا أنه سيحدث نقلة نوعية ـ إن شاء الله ـ في صياغة الشخصية المتكاملة للطفل، والإسهام في نموِّه العقليِّ؛ فضلًا عن **الارتقاء بحفظه وفهمه للقرآن وإقباله عليه.**

ومن ثَمَّ استعنت بالله، وشرعت في إعداد برنامجٍ مُنبثقٍ عن مشروع (القرآن علم وعمل) **يلائم الأطفال، ويكون عمليًّا ميسرًا**، أسميتُه مشروع (المتدبِّر الصغير).

أهمِّية الدراسة:

وتكمُن أهميَّة هذه الدراسة في ما يلي:

- مُحاولة تقريب منهج السلف الصالح في التعليم القرآنيِّ بصورة عمليَّةٍ صالحةٍ للتطبيقِ في الحضانات والمدارس والحلقات القرآنية ودور التحفيظ.
- تخريج الطفل المسلم ذي الشخصيَّة المتكاملة خُلقًا وعلمًا ومهارةً، مظهرًا وجوهرًا.
- تدريب أطفال المسلمين وتعويدهم على إتقان عبادة من أهمِّ العبادات؛ ألا وهي عبادة التدبُّر.
- استثمار مرحلة الطفولة استثمارًا جادًّا يُوقف نزيف إهدار الكفاءات على الأمَّة، ويُرسِّخ لثقافةِ الجودة الكيفيَّة إضافةً إلى الجودة الكمِّيَّة.

* صياغة الرؤية الموحَّدة لمشروعٍ جامعٍ ينتظم جهودَ العاملين في حقل التعليم القرآنيِّ، والمهتمِّين بتربية الطفل المسلم.

الدراسات السابقة:

لم أقف ـ في حدود علمي واطِّلاعي ـ على دراساتٍ تطبيقيَّةٍ تتغيَّا تقريب التدبُّر للأطفال بصورة منهجيَّةٍ تُناسب عموم الحلقات والكتاتيب والمدارس القرآنية، والمحاضن ودور التحفيظ.

وقد جاء البحثُ في مقدمة وفصلين؛ كما يأتي:

الفصل الأول: الإطار **التنظيريّ** (الأكاديمي) للدراسة؛ وجاء في ثلاثة مباحث:

الأول: تعليم القرآن بين أطفال السلف وأطفال الخلف.

الثاني: تقريب التدبُّر للأطفال، تحديات وإشكاليات.

الثالث: خصائص النموّ لدى طفل مرحلة ما قبل المدرسة.

الفصل الثاني: الإطار **التطبيقيّ** (العملي) لبرنامج المتدبِّر الصغير، وجاء في ثلاثة مباحث:

الأول: الإطار التعريفيّ بالبرنامج.

الثاني: مراحل تخطيط البرنامج.

الثالث: الدراسة التجريبيَّة لأثر برنامج المتدبِّر الصغير على تيسير وتحسين تعلُّم القرآن الكريم والعمل به.

ثمَّ خُتمَ البحث بخاتمة فيها خلاصة البحث وأهمُّ نتائجه وبعض التوصيات.

الفصل الأوَّل

الإطار التنظيري (الأكاديمي)

المبحث الأوَّل

تعليم القرآن
بين أطفال السلف وأطفال الخلف

المطلب الأوَّل: طبيعة علاقة أطفال الصحابة بالقرآن الكريم:

إنَّ النَّظرَ **للسلوكِ العمليِّ** للصحابة مع القرآن يُطلعُنا على أنَّهم كانوا يتعاملون مع الآية الواحدة من آيات القرآن على مستويات، تعود جميعًا إلى مستويين **لهما علاقة بالخصائص التركيبيَّة** للآية:

المستوى الأول: **المباني والألفاظ**: فكانوا يرون أنَّ الواجب تجاه هذه المباني **الضبط وحفظ الرواية والقراءة**، وكانوا يُطلقون على ذلك الواجب تجاه الآيات «**قرآن**» بمعناه اللُّغويّ لا الاصطلاحيّ.

المستوى الثاني: **المعاني والدلالات**، وكانوا يرون أنَّ الواجب عليهم تجاه هذه المعاني **فهمها وتدبُّرها، وتصديق خبرها، واتِّباع أوامرها، واجتناب نواهيها**. واجتماع هذه الأمور يجعل العمل بتلك المعاني أكملَ؛ لذا كانوا يطلقون على ذلك الشق: «**الإيمان**» معبرين به عن أكمل صور العمل بتلك المعاني وما تستلزمه من **فهم وتدبُّر وتطبيقٍ**.

قال ابن القيم: «فَكَمَا نَقْطَعُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَيَّنَ اللَّفْظَ فَكَذَلِكَ نَتَيَقَّنُ أَنَّهُ بَيَّنَ الْمَعْنَى، بَلْ **كَانَتْ عِنَايَتُهُ بِبَيَانِ الْمَعْنَى أَشَدَّ مِنْ عِنَايَتِهِ بِبَيَانِ اللَّفْظِ**، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي، **فَإِنَّ الْمَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودُ، وَأَمَّا اللَّفْظُ فَوَسِيلَةٌ إِلَيْهِ**، فَكَيْفَ تَكُونُ عِنَايَتُهُ بِالْوَسِيلَةِ أَهَمَّ مِنْ عِنَايَتِهِ بِالْمَقْصُودِ، وَكَيْفَ يُتَيَقَّنُ بَيَانُهُ لِلْوَسِيلَةِ وَلَا يُتَيَقَّنُ بَيَانُهُ لِلْمَقْصُودِ؟ وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ أَبْيَنِ الْمُحَالِ؟ فَإِنْ جَازَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُبَيِّنَ الْمُرَادَ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ جَازَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُبَيِّنَ بَعْضَ أَلْفَاظِهِ»[(١)] وقال: «فَالصَّحَابَةُ أَخَذُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ، بَلْ **كَانَتْ عِنَايَتُهُمْ بِأَخْذِ الْمَعَانِي أكبر مِنْ عِنَايَتِهِمْ بِالْأَلْفَاظِ، يَأْخُذُونَ الْمَعَانِيَ أَوَّلًا**، ثُمَّ يَأْخُذُونَ الْأَلْفَاظَ لِيَضْبُطُوا بِهَا الْمَعَانِيَ حَتَّى لَا تَشِذَّ عَنْهُم»[(٢)].

والخلاصة: أنَّ منهجيتهم في التعامل مع الآية، كانت: **الضبط والقراءة وحفظ الرواية**، وكانوا يطلقون عليه (**القرآن**) أو (العلم)، **والفهم والتدبر والاتباع**، وكانوا يطلقون عليه (**الإيمان**) أو (العمل). **فالعلم**: تلاوة، واستماع، وضبط، واستظهار، وفهم، **والعمل**: استخراج الوصايا العمليَّة، وتدبر، واتّباع، وتعليم، ودعوة. وكانوا أحيانًا يصفونها **بالقرآن والعلم والعمل جميعًا**، ويقصدون «**بالقرآن**»: التلاوة، والاستماع، والضبط، والاستظهار، ويقصدون «**بالعلم**»: الفهم، واستخراج الوصايا العملية، ويقصدون «**بالعمل**» ماسبق بيانه آنفًا. وقد يصفونها (بالقرآن والعمل جميعًا)، ويقصدون «**بالقرآن**»:

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٩٩).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٥٣٥).

التلاوة، والاستماع، والضبط، والاستظهار، أما «**العمل**» هنا فيقصدون به ما سبق بيانه آنفًا، بالإضافة إلى الفهم.

ولا تعارض بين تعبير الصحابة عن منهجهم في التعامل مع القرآن بأنه «**علم وعمل**» أو «**قرآن وإيمان**»؛ لأنَّ الألفاظ تختلف باختلاف المقام والسياق وطبيعة المتعلمين، فالعلم هو «**القرآن**» والعمل هو «**الإيمان**». وقد يحصل ذلك التعاقُب في العباراتِ في مقام واحد؛ فمن ذلك قول أبي عبد الرحمن السلمي: «حدَّثنا مَن كان يُقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى؛ حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل. قالوا: فعلمنا **العلم والعمل**»[(١)] وفي رواية: أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر **فلا يجاوزونها** إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، (قالوا): «فتعلمنا **القرآن والعمل** جميعًا»[(٢)]. وفي رواية: «فتعلمنا **القرآن والعلم والعمل** جميعًا»[(٣)].

وقد عرض أبو عبد الرحمن السلمي القرآن على عثمان وعليٍّ وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وهو أحد المبرِّزين في التعليم القرآني؛ جلس يُعلِّم القرآن ويقرئه أربعين سنة[(٤)].

وعن ابن مسعود، قال: «كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ **لم**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٤٦٦ برقم ٢٣٤٨٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٤)، وحسَّنه محقِّقو المسند.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٠)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

(٣) تفسير ابن عطية (١/ ٩).

(٤) ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٥٢ ـ ٥٧).

يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ»[(١)] وفي رواية: «كُنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ **فَمَا نَعْلَمُ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهُنَّ** حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا أُنْزِلَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ **مِنَ الْعَمَلِ**»[(٢)].

يقول الدكتور محمود روزن: «وهذا نصٌّ صريحٌ مُحكَمٌ في أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحفظون القرآن **حفظَ درايةٍ وحفظَ رعايةٍ**، دلَّ على الأوَّلِ قولُه: (حتى يعرف معانيهنَّ)، وعلى الثاني قوله: (والعمل بهنَّ)، ثمَّ يكون حفظُ الرواية والاستظهار تابعًا لهما. وظاهر عبارةِ ابن مسعودٍ يدلُّ على أنَّه **إجماعٌ عمليٌّ من الصحابةِ** رضي الله عنهم، ويشهد لهذا الإجماعِ الآثارُ... عن ابن عمر وحذيفة وجندب رضي الله عنهم[(٣)]، فاتفاقهم على الحكاية بما يُلمِحُ إلى الجمع يُفيد عموم الصحابة رضي الله عنهم، ثمَّ لم يُعرف لهم مخالفٌ في هذا المنهج، وقد استدلَّ الإمامان أبو جعفر النحاس وأبو عمرو الداني بحديث عبد الله بن عمر[(٤)] على أنَّ تعليم الوقفِ توقيفٌ من رسول الله ﷺ، وأنَّه إجماعٌ من الصحابة رضي الله عنهم[(٥)]. ودلالته على المنهج النبويِّ في التعليم القرآنيِّ آكدُ وأوضحُ»[(٦)].

ويقول حفظه الله: «ومن لوازم هذا المنهج وضروريَّاته أنَّ **التربية**

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٠)، وقال الشيخ شاكر: «هذا إسناد صحيح. وهو موقوف... ولكنه مرفوع معنى».
(٢) شرح مشكل الآثار (٤/ ٨٢).
(٣) قلتُ: وغيرهم كأُبيّ وعثمان وعلي رضي الله عنهم.
(٤) قلتُ: يقصد «لقد عشنا برهة....» وسيأتي ذكره قريبًا.
(٥) ينظر: القطع والائتناف (ص٢٨)، والمكتفى (ص١٦).
(٦) من كتاب التعاهد بين النظرية والتطبيق وهو مخطوط لفضيلته أتحفنا به قبل نشره.

الكيفية مقدَّمةٌ على التربيَّة الكمِّيَّةِ، وأنَّ المعيار الذي يتفاضلُ على أساسه المتعلِّمون هو **التحقُّق العمليُّ بمقتضى ما يتعلَّمون؛ لا مقدار ما يستظهرونَ**، فكان وِردُ المحفوظ الجديد لا يتجاوز عشرَ آياتٍ؛ كما دلَّت عليه الآثار المتقدِّمة، بل ربَّما لا يُجاوز خمس آياتٍ... وكذا؛ فإنَّ من لوازم ذلك المنهج أنَّ المُتعلِّم قد يمكث السنين الطوال في تعلُّم السورة الواحدة... ومن لوازم ذلك المنهج الاستمراريةُ والمداومةُ، **فليس المقصود تحصيلَ الإجازاتِ والتخرُّجَ بالشهاداتِ**؛ من أجل نَيْلِ الوظائفِ والعطايا، بل المقصود أن يُحصَّل العلمُ لعمل الآخرة. فإذا رُمتَ مقارنةَ ما هو قائمٌ في التعليم القرآنيِّ في وقتنا بما كان قائمًا في القرون الخيريَّةِ جُبِهْتَ بما لا يستقيمُ بحالٍ على معاييرهم، إذ إنَّ تحفيظَ القرآن ـ في الغالبِ ـ يأتي في إطار منظومة من المُقرَّرات الدراسية التي يجب على الطالب دراستُها والانتقالُ منها لغيرها بمجرَّد أن ينجح وَفْقَ معايير التقويم الموضوعة، والتي تركِّز على مقدار التحصيل المعرفيِّ، وليتها ـ إذِ اقتصرت عليه ـ أوْلتْ عنايتها المستويات المعرفية العليا. ولكي يجتاز الطالبُ امتحاناتِه فإنَّه يعلم أنَّ عليه استظهار القدر المقرَّر عليه، استظهار روايةٍ، بغضِّ النظر عن فهمه أو التخلُّق به، ثمَّ إذا انتهى وقتُ حاجتِه نسِيَه، ولا يختلف الحال كثيرًا بإضافةِ بعض المقررات التي تُعالج موضوعات الدرايةِ؛ كالتفسير وغريب القرآن ونحوها؛ إذ إنَّها لا تدرَّس في الإطار المنظوميِّ: (رواية ـ دراية ـ رعاية)، فقد يُكتفى بمطالعة تفسير سورة أو مقطع منها، في الوقت الذي يكون مقرَّر الاستظهار في سورة غيرها، أمَّا ما في الآيات من وصايا عمليَّةٍ

فيتعاطى كمعرفةٍ مجرَّدةٍ، لا يُهتمُّ فيها بوسائل غرس السلوك التي تُترجم تلك الوصايا إلى أخلاقٍ ملموسةٍ في واقع الدارس أو المتعلِّم»[١].

فهل كان للنبي ﷺ في التعليم القرآني للأطفال منهجية مختلفة، أم هي المنهجية ذاتها التي كان ينتهجها مع الكبار؟ لقد كان **الكبار يتعلمون المباني ثم المعاني**: (العلم والعمل، أو القرآن والإيمان)؛ لكن **في وقت واحد**. دلَّ عليه أقوال الصحابة المتقدِّمة: «فتعلَّمنا العلم والعمل جميعًا». فلمَّا نظرنا في النسخة المسطورة من الوحي (النصوص)، والنسخة المنظورة منه (حال السلف)، هدانا الله إلى أنَّ الأطفال تعلَّموا القرآن بطريقةٍ اختلفت عن طريقةِ الكبار في **ترتيب خطواتها**، واتفقت معها في **مقاصدها وأهدافها وغاياتها**، فغاية الطريقتين: تحقيق مراد الله من عباده فيما يتعلق بالقرآن أولًا وهو: **أن يكونوا من أهله**؛ فيعملوا به ويهتدوا بهديه. لكنَّ الأطفال **كانوا أحوج للبدء بتعلُّم المعاني قبل المباني**، فكان المنهج النبوي معهم هو: (الإيمان قبل القرآن)، (والعمل قبل العلم)، (والحدود قبل الحروف)، (والتربية السلوكية قبل التربية المعرفية)، وهذا ما استدل عليه وتؤكده السطور القادمة.

يقول الدكتور محمود روزن: «إنَّ أوَّل ما يقفُ عليه الباحثُ في منهج السلف في التعليم القرآنيّ أنَّهم كانوا **يتعلَّمون العلم للعَملِ**، وكانت **التربية الإيمانية السلوكية عندهم مقدَّمة على التربية المعرفية**، وهو معنى قول الصحابة أنَّهم كانوا يتعلَّمون الإيمان قبل القرآن»[٢].

---

(١) من كتاب التعاهد بين النظرية والتطبيق وهو مخطوط لفضيلته أتحفنا به قبل نشره.
(٢) من كتاب التعاهد بين النظرية والتطبيق وهو مخطوط لفضيلته أتحفنا به قبل نشره.

الفرع الأول: وصف الصحابة أنفسهم طبيعة علاقتهم بالقرآن بأنَّها إيمانٌ وقرآنٌ:

١ ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

يقول: «لقد عشنا برهة من الدهر وأحدنا يُؤتى **الإيمان قبل القرآن**». ثم يشرح كيف كانوا يتعلمون الإيمان أولًا؛ فيقول: «وتنزل السورة على محمد ﷺ، فيُتَعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها» وفي رواية: «كما تتعلَّمُون أنتم اليوم القرآنَ». ثم يتعجب ممن يقدِّمون المباني على المعاني، والقرآن على الإيمان، وينكر عليهم فعلهم؛ فيقول: «ثم لقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم **القرآن قبل الإيمان**، فيقرأ من بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده، وينثره نثر الدقل (رديء التمر)»[(١)].

ثم يذكر السبب الذي حدا بهم إلى البدء بالإيمان قبل القرآن، ويتعجب ممن **يبدأون بطريقة معكوسة**، فيقول: «وكل حرف منه ينادي: أنا رسول الله إليك **لتعمل بي** وتتعظ بمواعظي»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو جعفر النحَّاس في القطع والائتناف (ص ٢٧)، وابن منده في الإيمان (١/ ٣٦٩ برقم ٢٠٧)، وقال: «هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري». وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٨٣ برقم ١٠١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبيّ. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٠ برقم ٥٢٩٠)، والمستغفري في الفضائل (١/ ٢٧٥ برقم ٢٧٠)، وقال مُحققه: حسن غريب. قلتُ: والقاسم بن عوف الشيباني راوي الحديث عن ابن عمر ليس من رجال البخاري، وإنما روى له مسلم حديثًا واحدًا، ولم يُجمعوا على توثيقه. يُنظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٣). والحديث حسنٌ لذاته، صحيح لغيره إن شاء الله.

(٢) مباحث في علوم القرآن (ص: ١٨٨)، رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٩١).

ويؤكد على ذات المنهجية في تعامل الصحابة مع القرآن فيقول: «كَانَ الرجُلُ مِنْ **خِيَارِ** أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَصَالِحِيهِمْ مَا يُقِيمُ إِلَّا سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ (حفظ رواية) أَوْ شِبْهَ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ (حفظ الرواية) ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ[(١)] وَرُزِقُوا **عِلْمًا بِهِ وَعَمَلًا** (حفظي الدراية والرعاية)، وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَخِفُّ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ حَتَّى يَقْرَأَهُ الصَّبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ **لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا**، أَوْ قَالَ لَا يُسَلِّمُونَ مِنْهُ الشَّيْءَ»[(٢)].

وفي رواية: «كان **الفاضل** من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظُ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورُزقوا **العمل بالقرآن**، وإنّ آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يُرزقون **العمل** به»[(٣)].

وفي هذا المعنى قال ابن مسعود: «إنّا صعبٌ علينا حفظُ ألفاظ القرآن، **وسهلٌ علينا العمل به**، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم **العمل** به»[(٤)].

وما سهولة العمل عليهم إلا لأنهم **تعلَّموا العمل (الإيمان) قبل أن يتعلموا المباني والألفاظ (القرآن)**، فقد رباهم الرسول ﷺ على منهجية (الإيمان قبل القرآن).

---

(١) لم يكن ثقل الحفظ عليهم لنقص قدراتهم، وإنما لكونهم تربوا على استثقال حفظ ألفاظ لايفهمونها ولايعملون بها.
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٦٥٠).
(٣) تفسير القرطبي (١/ ٤٠).
(٤) تفسير القرطبي (١/ ٤٠).

٢ ـ جُندب بن عبد الله رضي الله عنه:

يقول: «كنا مع النبي ﷺ ونحن غلمان حَزاورة **فتعلمنا الإيمان قبل القرآن**، ثم تعلمنا القرآن (أي: القراءة ضبطًا وحفظًا) فازددنا إيمانًا»[(١)].

وفي رواية: «فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثم تعلمنا القرآن؛ فنزداد به إيمانًا، **فإنكم اليوم تعلَّمون القرآنَ قبل الإيمان**».

فتأمل إخباره عن عُمُرِهم بـ(غلمان حزاورة)، والحزاورة جمع حزوَّر، وهو الذي قارب البلوغ[(٢)]. وبلوغ النساء حينها في تلك البيئة الحارة كان في التاسعة تقريبًا؛ كما جاء في بناء النبيِّ ﷺ بعائشة. فإذا قلنا: إنَّ البنات يبلغنَ غالبًا قبل الغلمان بسنةٍ؛ فيكون عُمُرهم يومئذ **أقل من عشر سنين** (تسع أو أقلّ).

ومما يدل على ذلك أيضًا: أنه صحَّ أن النبي ﷺ قد تُوفِّي ولابن

---

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٤٢) وصحَّحه الأرناؤوط والألباني: (صحيح ابن ماجه، ص: ٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٧١)، وشعب الإيمان (١/ ١٥٢)، والزيادة لهما: «فإنَّكم اليوم تعلَّمون القرآن قبل الإيمان»، واللفظ للطبرانيّ... وأبو بكر بن الخلال في السنة (٥/ ٥٣)، وابن بطَّة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٤٧)، وابن منده في الإيمان (١/ ٣٧٠)... وغيرهم.

(٢) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٣/ ٧٥٨)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨٠). وذكر الثعالبي (فقه اللغة: ص ٦٠)؛ عن أئمة اللغُّة في مراحل نمو الإنسان، وما تُسمَّى به كلُّ مرحلة في اللغة: «فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزوَّر»، فعلى ما ذكره الثعالبيُّ تكون سنُّ الحزوَّر في حدود اثنتي عشرة سنةً تقلُّ قليلًا أو تزيد قليلًا. وعلى خلاف ذلك ذكر أبو إسحاق الطرابلسي (كفاية المتحفِّظ ونهاية المتلفِّظ: ص ٧١)؛ عبارات وحدودًا مُخالفةً لما ذكره الثعالبيُّ؛ فقال: «فَإِذا قَوِي وخدم فَهُوَ حزور. فَإِذا ارْتَفع فَوق ذَلِك فَهُوَ يافع. فَإِذا قَارب الِاحْتِلَام فَهُوَ مراهق. فإذا بلغ الحُلم فهو محتلم، وحالِم...إلخ» فلعلَّ هذا الوصف يعتضِدُ به القولُ بأنَّ الحزوَّر ـ وخصوصًا في البيئات الحارَّة ـ لا يبلغ التاسعة على أكثر تقدير، وإن قيل: لم يبلغ السابعة؛ لم يبعُد. والله أعلم.

عبَّاس عشر سنين[(١)]، كما أخبر أنَّه حضر حجة الوداع وقد قارب الاحتلام جدًّا «ناهزت»، إذًا كان احتلامهم فيما يقارب العاشرة. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «جِئْتُ أَنَا عَلَى أَتَانٍ وَقَدْ نَازَهْتُ الِاحْتِلَامَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ»[(٢)].

ثم تأمل تعبيره بـ(ثم) في قوله: «ثم تعلمنا القرآن»، ليؤكد على أن **تعليم الإيمان الذي بالآيات كان مرحلةً سابقةً لتعليم القرآن**. فمن نفس المشكاة خرجت كلمات جندب رضي الله عنه، كأنهم قد اتفقوا على قولها، ولا عجب، فمنهجية: (الإيمان قبل القرآن) في التعليم القرآني للأطفال، **كانت واضحة لدرجة أنه لو وصفها الصحابة جميعًا** رضي الله عنهم لوصفوها بالعبارات ذاتها.

٣ ـ حذيفة رضي الله عنه:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «إِنَّا **آمَنَّا** (يعني: فهمنا القرآن وتدبرناه واتبعناه) **وَلَمْ نَقْرَإِ الْقُرْآنَ** (الضبط وحفظ الرواية)، وَسَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يُؤْمِنُونَ». وبما أنه يبعد جدًّا أن يكون قد أراد أنهم كفار، فالمراد أنهم **لايتفهمون ولايتدبرون ولايعملون بالقرآن**[(٣)]، وتوضحه هذه الرواية، والتي يقول فيها: «إِنَّا قَوْمٌ **أُوتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤْتَى الْقُرْآنَ**، وَإِنَّكُمْ قَوْمٌ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُؤْتَوَا الْإِيمَانَ»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٩٣)، وفي رواية: «أَنَا يَوْمَئِذٍ مَحْتُونٌ» وَكَانُوا لاَ يَخْتِنُونَ الرَّجُلَ حَتَّى يُدْرِكَ (يبلغ)، صحيح البخاري (٨/ ٦٦)، لكن ابن حجر ناقش الروايات المختلفة في السن في فتح الباري (٩/ ٨٤) واستبعد العشر فليراجع.

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٧٠١).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٦٥٠).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٧١)، وسعيد ابن منصور في السنن (١/ ٢٠٦=

٤ ـ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: «من النّاس **من يؤتى الإيمان ولا يؤتى القرآن**، ومنهم من يؤتى القرآن ولا يؤتى الإيمان، ومنهم من يؤتى القرآن والإيمان، ومنهم من لا يؤتى القرآن ولا الإيمان، ثمّ ضرب لهم مثلًا، قال: فأمّا من أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله مثل التّمرة حلوة الطّعم لا ريح لها، وأمّا مثل الّذي أوتي القرآن، ولم يؤت الإيمان فمثل الآسة، طيّبة الرّيح مرّة الطّعم، وأما الّذي أوتي القرآن والإيمان فمثل الأترجّة طيّبة الرّيح حلوة الطّعم، وأمّا الّذي لم يؤت القرآن ولا الإيمان، فمثل الحنظلة مرّة الطّعم لا ريح لها»[(١)].

٥ ـ أبي بن كعب رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ): «**مثل المؤمن، قد جعل الإيمان والقرآن في صدره.** (كمِشْكَاةٍ)... المشكاة: صدره. (فِيهَا مِصْبَاحٌ)... والمصباح **القرآن والإيمان الذي جعل في صدره** (الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ)... والزجاجة: قلبه. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ﴾... فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب درّيّ= مضيء»[(٢)].

٦ ـ جبير بن مُطعم رضي الله عنه:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي

=برقم ٤٨) وقال محققه: سنده رجاله ثقات، إلا أنَّه ضعيف للانقطاع بين أبي السفر وحذيفة. لكنه صحَّحه لغيره ببعض المتابعات والشواهدِ.

(١) سنن الدارمي (٣٣٦٢).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٨١).

الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَذَلِكَ **أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي**[(١)]. ونُقِلَ ذلك الموقف بألفاظ أخرى فقال: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ﴾ **كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ**[(٢)].

وقد حصل هذا الأثر الإيماني له لـمَّا سمع بِنيَّة التفهُّم والتدبر، فلم تكن حينها نية حفظ الرواية من نواياه؛ لأنه لم يكن حينئذٍ قد أسلم بعدُ، وفيه الإشارة إلى أنَّ الإيمان ينشأُ عن التفهم والتدبر والانشغال بالعمل.

٧ ـ عائشة رضي الله عنها:

عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قالت: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ (لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ) لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ (لاَ تَزْنُوا) لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا»[(٣)].

فالحديث يؤكد أنَّ الإيمان هو ما نزل القرآن لترسيخه أولًا، وأنه الأهم، والقاعدة التي ترتكز عليها كل التكاليف التي جاءت بعد ذلك.

الفرع الثاني: السُنَّة أيضًا تؤكد أن الصحابة تعلموا بمنهجية (الإيمان قبل القرآن):

يقول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي **يَقْرَأُ الْقُرْآنَ** (وزاد البخاري: ويعمل

(١) صحيح البخاري (١٣/ ٣٨٥).
(٢) صحيح البخاري (١٦/ ١٦٢).
(٣) صحيح البخاري (١٦/ ٤٧٧).

به) كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي **لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ** (وزاد البخاري: ويعمل به) كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر»[(١)].

فيُقَسِّم الحديث تعامل المؤمن مع القرآن إلى شقين: قرآن (قراءة وضبط وحفظ) وإيمان (فهم وتدبر وعمل)، ويؤكد الحديث على **أن الأولوية لدى المسلم بالنسبة لواجبه تجاه الآيات هي أن ينتفع بما اشتملت عليه من إيمان (فهم وتدبر وعمل) أولًا**، رغم أن المنشود الجمع بين الإيمان والقرآن، لكن انصراف الهمة إلى القرآن فقط (القراءة والضبط والحفظ) من صفات المنافقين.

وتأمل كيف بَيَّن أن **المؤمن لاينبغي أن ينفك عنه العمل بالقرآن**، قد ينفك عنه حفظه أو تجويده، لكن العمل ركن أساسي، وانظر كيف بَيَّن أن الحافظ العامل أفضل من العامل الغير حافظ، وأن العامل الغير حافظ أفضل من الحافظ الغير عامل. كما يشير الحديث إلى أن النفاق قد يكون مغبة من مغبات ترك العمل بالقرآن.

قال ابن القيم: «فَجعل النَّاس أربعة أقسام: **أهل الإيمان وَالْقُرْآن وهم خِيَار النَّاس**. الثَّانِي: أهل الإيمان الَّذين لَا يقرءُون الْقُرْآن وهم دونهم. فَهَؤُلَاءِ هم السُّعَدَاء. والأشقياء قِسْمَانِ: أحدهما؛ من أوتى قُرْآنًا بِلَا إِيمَان فَهُوَ مُنَافِق. وَالثَّانِي؛ من لَا أوتى قُرْآنًا وَلَا إِيمَانًا. وَالْمَقْصُود

(١) متفق عليه.

أن الْقُرْآن والإيمان هما نور يَجعله الله فِي قلب من يَشَاء من عباده، وأنهما أصل كل خير فِي الدُّنْيَا والآخرة، وعلمهما أجل الْعُلُوم وأفضلها بل لَا علم فِي الْحَقِيقَة ينفع صَاحبه إلا علمهما»[(١)].

وقال: «فَكَمَا أَنَّ مَنْ أُوتِيَ إِيمَانًا بِلَا قُرْآنٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ أُوتِيَ قُرْآنًا بِلَا إِيمَانٍ، فَكَذَلِكَ مَنْ أُوتِيَ تَدَبُّرًا، وَفَهْمًا فِي التِّلَاوَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ أُوتِيَ كَثْرَةَ قِرَاءَةٍ وَسُرْعَتَهَا بِلَا تَدَبُّرٍ»[(٢)].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «وَفِي الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ حَامِلِي الْقُرْآنِ وَضَرْبُ الْمَثَلِ لِلتَّقْرِيبِ لِلْفَهْمِ **وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْعَمَلَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ**»[(٣)].

وقال ابن باديس: «جعل رسول الله ﷺ **طيب الطعم دائرًا مع العمل**، وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة. **والمجدى على المرء هو عمله**. أما التلاوة وحدها فإنها لا تجدي... وقد دل الحديث على أن العمل بالقرآن درجتين: أعلاهما **الجمع بين التلاوة والعمل**... والعمل بالقرآن يقتضي **فهم معانيه**... ولهذا لم يقل في الحديث: (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به)... فيا أيها القراء المؤمنون **تطلبوا معاني ما تقرأون، واعملوا بما تفهمون**، كي تكونوا أترجة، ويا أيها المؤمنون الأميون، اسألوا أهل الذكر والعلم بكتاب ربكم **وتحروا العمل** بما

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٥).
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٢٧).
(٣) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٦٧).

دعاكم إليه كي تكونوا تمرة... فالقارىء **إن لم يعمل** بما يقرأه فهو منافق حقيقة أو مجازًا»[(١)].

وقال ﷺ: «أَنَّ **الأَمَانَةَ** نَزَلَتْ (مِنَ السَّمَاءِ) فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ (وفي رواية: فَقَرَءُوا الْقُرْآنَ) وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»[(٢)] (الْأَمَانَةَ) هي الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ وَهِيَ **عَيْنُ الْإِيمَانِ**... أَيْ: أَنَّ الْأَمَانَةَ أَوَّلَ مَا نَزَلَتْ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا فَكَانَتْ هِيَ الْبَاعِثَةُ عَلَى الْأَخْذِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ: (ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ)[(٣)].

فالإيمان نزل في جذر قلوب الرجال، أي: في أصل قلوبهم؛ ثم عملوا من القرآن، ثم علموا من السنة، فأيهما تقدم الآخر: الإيمان أم العلم؟ **الإيمان. فهذا هو الفرق الذي ألمح إليه عبد الله بن عمر، وجندب بن عبد الله البجلي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وآخرون من الصحابة**، قالوا: (تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا، ويأتي أقوامٌ يتعلمون القرآن، ثم يتعلمون الإيمان، يشربونه شرب الماء)... **كم من واحد حافظ للقرآن من أوله إلى آخره، ولا يفقه منه شيئًا**، وهذا كثير. وقوله: (يشربونه شرب الماء)، بمعنى: أنهم **أقاموا حروفه وضيعوا حدوده**، تجد الواحد منهم يقول لك: أنت لم تفخم الحرف الفلاني، وأنت رققت في غير موضع الترقيق، وأنت أتيت بصلة كبرى وهي صغرى، يفتي في كل هذه الأشياء، هذا أقام حروفه، نعم،

---

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص: ٢٠٤ ـ ٢٠٥).
(٢) صحيح البخاري (٢٤/ ٦٩)، صحيح مسلم (١/ ٨٨).
(٣) تحفة الأحوذي (٥/ ٤٧١).

لكن ما أقام حدوده الشرعية التي أناطها الله بهم... فالفرق ما بين الصحابة والذين جاءوا بعد ذلك: أن **الإيمان سبق القرآن ـ أعني سبق تعلم العلم ـ فازدادوا بالقرآن والسنة إيمانًا وتسليمًا بالله ورسوله**[(١)].

وقال ﷺ: «ضَرَبَ اللهُ مَثلًا صراطًا مُستقيمًا، وعن جَنَبتي الصِّراط سورانِ فيهما أَبْوابٌ مُفَتَّحةٌ، وعلى الأبْوابِ ستُورٌ مُرْخَاةٌ، وعندَ رَأْسِ الصِّراطِ داعٍ يقول: استقيموا على الصراط ولا تَعْوَجُّوا، وفوقَ ذلك داعٍ يَدْعو كُلَّما همَّ عَبْدٌ أَنْ يَفْتَحَ شيئًا من تلك الأَبواب، قال: ويْحَكَ، لا تَفْتَحْهُ، فإنك إن تفتحه تَلِجْهُ. ثم فسَّره فأَخبر: أَنَّ الصّراط: هو الإِسلام، وأَن الأبواب المفتَّحة: محارمُ الله، وأَنَّ السُّتورَ المُرْخاةَ: حُدودُ الله، والدَّاعي على رَأْسِ الصراطِ: هو **القُرآنُ**، وأَنَّ الدَّاعِي منْ فوقِهِ: هو **واعظُ الله في قلْبِ كُلِّ مؤمنٍ**»[(٢)]، قال ابن القيم: «فَذكر الأصلين وهما دَاعِي الْقُرْآن وداعي الايمان»[(٣)]، وتأمل كيف جعل داعي الإيمان فوق داعي القرآن ومعينًا على الاستجابة لدعوته.

ويقول ﷺ: «**ولكن أعجب الناس إيمانا: قوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتابًا من الوحي فيؤمنون به ويتبعونه فهم أعجب الناس إيمانًا أو الخلق إيمانًا**»[(٤)] فالنبي ﷺ يمدح أولئك الذين يكون تفاعلهم مع القرآن، بالإيمان به واتباعه أولًا.

ويقول ﷺ أيضًا في ذات السياق: «قوم يأتون من بعدكم يأتيهم

---

(١) شرح صحيح البخاري للحويني (٧/ ١٢)
(٢) مشكاة المصابيح (١/ ٤١) وصححه الألباني.
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٥).
(٤) السلسلة الصحيحة (٨/ ٢٣٠).

كتاب بين لوحين **يؤمنون به ويعملون بما فيه** أولئك أعظم منكم أجرًا»[(١)] ويؤكد النبي ﷺ هنا أن من يتفاعلون مع القرآن بالإيمان والعمل به أعظم أجرًا من الصحابة؛ وهي إشارة إلى أن الإيمان أهم وأنه ينبغي أن يُبتدأ به.

الفرع الثالث: ما المراد بكلمة «الإيمان» التي جاءت في الآثار السابقة؟

حاصل كلام العلماء أن ذلك «الإيمان» المذكور يدور معناه على أربعة أمور:

الأوَّل: أنَّه **الإيمان المجمل** الذي تشتمل عليه أركان الإيمان الستة **(الدين كله)**.

الثاني: **التصديق** بما قال الله، وبما جاء في القرآن، وبما أخبر به رسول الله ﷺ.

الثالث: معرفة قدر القرآن وأثره في حياتنا، فيكون المراد بالإيمان: الإيمان بأهمية القرآن، ومن ثمَّ **تعظيمه والإقبال عليه**. قال المحاسبي: «لقد عظَّم الله عز وجل القرآن وسماه: برهانًا، ونورًا، ورحمةً، وموعظةً، ومجيدًا، وبصائر، وهدى، وفرقانًا، وشفاء لما في الصدور، وذلك ليعظم قدره عند المؤمنين فيقبلوا عليه منبهرين، ومقدرين، ومتدبرين، فينالوا به شفاء قلوبهم. وأخبرنا كذلك عن قوة تأثيره ليزدادوا ثقةً فيه»[(٢)].

---

(١) السلسلة الصحيحة (٩/ ٩٠).

(٢) فهم القرآن للمحاسبي (ص ٢٨٢).

الرابع: معرفة معاني ما يقرأ من القرآن وتدبره وفهمه والعمل به فيكون الإيمان هو الفهم والتدبر والعمل. قال الدكتور عبد السلام المجيدي: «والمراد به هنا العمل؛ إذ لفظ الإيمان يستغرق العلم والعمل جميعًا، ولكن تخصيص مدلول الإيمان بالعمل يقتدى فيه بالتعبير القرآني في قوله جل جلاله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ...﴾ فالمراد بالإيمان هنا أخص العمل وهو الاستعداد والخشية والحب والتلهف»[(١)].

ويقول الدوسري: «فالإيمان الذي أشار إليه ابن عمر رضي الله عنهما هو الإيمان بأنَّ القرآن إنما أُنزل لتدبر آياته والعمل بما فيه. وذلك الإيمان هو الذي دفع الصحابة رضي الله عنهم لتحقيق النصيحة لكتاب الله على ذلك الوجه، فكانوا فور نزول السورة أو الآية يبادرون لتعلمها والعمل بها... وأفاد قول ابن عمر أيضًا: أن سبب التقصير في العمل بكتاب الله يرجع إلى عدم تمكن ذلك الإيمان من القلوب: (ولقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره)»[(٢)].

يقول الدكتور حسام الدين السامرائي: «إذا غاب الوعي في أولويات الأُمَّة، واضطرب مِيزانُها، فقدَّمت ما يَستحِقُّ التأخيرَ، أو أخَّرت ما يستحق التقديم، تغيَّر حالُها وتضاءل شأنها، واضمحلَّت قوَّتُها، هذا ما نفهمه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق، وهو يتحدَّث عن جيل قريب من

(١) المنهج النبوي في التعليم القرآني (ص ٣٢٤).
(٢) عظمة القرآن للدوسري (ص ٥٨٢، ٥٨٣).

جيله، وزمان يُحاكي زمانه، **شرعوا في تعلُّم القرآن قبل الإيمان، وكأنهم خالَفوا سُنَّة النبي العدنان** في ذلك، الذي علَّم أصحابَه الإيمانَ قبل القرآن؛ **ليقفوا عند حدوده، ويأتمروا بأمره، وينتهوا بنهيه... فكيف ترجو ممن لم يَصِل إلى حقيقة الإيمان أن يتفاعل مع القرآن؟** وهل العمل بآيات القرآن إلا فَرْع من ذلك الإيمان الذي وقَر في القلب، ولَهِج به اللسان فصدَّقته الجوارح؟»[(١)].

ونرى أنه لا تنافي بين تلك الأقوال وكلها مقصود، فقد تبدو تلك الأقوال مختلفة نظريًّا، ولكنَّها ـ عمليًّا ـ تنضوي تحت معنىً واحدٍ، إذ قد يُفسَّر الإيمان بمعناه أو بمقتضاه أو بلازمه، وقد تحققت تلك المعاني في واقع الصحابة مع القرآن، فهم يتلقونه بالتصديق، ويتعلمون فضله فيتعاملون معه بالتعظيم، ويعملون بما جاء فيه بعد فهمه وتدبره، والعمل بما جاء بالقرآن من أركان الإيمان. فآية مثلًا كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]؛ نؤمن بها؛ بمعنى أن **نتيقن في صدق ما جاء فيها** وأنه حق وأنه من عند الله. ونؤمن بها بمعنى أن **ندرك أهميتها بالنسبة لنا ودورها في حياتنا** فنقبل عليها ونُعَظِّمها. ونؤمن بها بمعنى أن **نفهمها ونتدبرها ونعمل بما جاء فيها** من وصية بالحفاظ على الصلاة كمًّا وكيفًا. ونؤمن بها بمعنى أن **ما فعلناه مما سبق هو من الإيمان وأركانه**، ومجرد العمل بما أوصت به الآية داخل في مسمى الإيمان، فقد سمى الله صلاة المسلمين إلى بيت المقدس إيمانًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ

(١) من مقالة له بعنوان «الإيمان قبل القرآن» على موقع الألوكة.

﴿إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس[(١)]، ذلك العمل الذي كان بتصديق وتعظيم ودافعية كبيرة وهمة عالية.

بل إنه لو كان المراد «بالإيمان» هنا التصديق أو التعظيم والإقبال أو أركان الإيمان **فإن المادة المستخدمة لتحصيله هي آيات القرآن بتفهمها وتدبرها والعمل بها**، فتكون تلك الأقوال قد آلت إلى القول الرابع أن المراد بالإيمان هنا «فهم القرآن وتدبره والعمل به».

يقول ابن القيم: «وَلَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِ **الْإِيمَانِ** وَالْيَقِينِ إِلَّا مِنَ الْقُرْآنِ»[(٢)]، ويقول عن معاني آيات القرآن وتدبرها أنها: «تُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ»[(٣)]، وقال: «الْإِيمَانَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَفَهْمُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ هُوَ الَّذِي يُثْمِرُ الْإِيمَانَ، وَأَمَّا مُجَرَّدُ التِّلَاوَةِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، فَيَفْعَلُهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ»[(٤)].

ويزيد الأمر بيانًا بقوله: «نَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ تَدَبَّرَهُ **أَوْجَبَ لَهُ تَدَبُّرُهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا وَيَقِينًا جَازِمًا: أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ**، بَلْ أَحَقُّ كُلَّ الْحَقِّ، وَأَصْدَقُ كُلَّ صِدْقٍ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ أَصْدَقُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَبَرُّهُمْ، وَأَكْمَلُهُمْ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَمَعْرِفَةً... فَلَوْ رُفِعَتِ الْأَقْفَالُ عَنِ الْقُلُوبِ لَبَاشَرَتْهَا حَقَائِقُ الْقُرْآنِ، وَاسْتَنَارَتْ فِيهَا **مَصَابِيحُ الْإِيمَانِ**، وَعَلِمْتَ عِلْمًا ضَرُورِيًّا يَكُونُ عِنْدَهَا كَسَائِرِ الْأُمُورِ الْوِجْدَانِيَّةِ ـ

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٦٧).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٨٠).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٥٠).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٢٧).

مِنَ الْفَرَحِ، وَالْأَلَمِ، وَالْحُبِّ، وَالْخَوْفِ ـ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا»[(١)].

وقال: «فَإِذَا كَانَ أَعْقَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ الْهُدَى بِالْوَحْيِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾ [سبأ: ٥٠] فَكَيْفَ يَحْصُلُ لِسُفَهَاءِ الْعُقُولِ وَأَخِفَّاءِ الْأَحْلَامِ الِاهْتِدَاءُ إِلَى **حَقَائِقِ الْإِيمَانِ** بِمُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ دُونَ **نُصُوصِ الْوَحْيِ**»[(٢)].

كما قال أيضًا: «وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن: هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها عن الانحراف»[(٣)]، لذا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: «يعْنى نور الإيمان على نور الْقُرْآن»[(٤)].

ولعل كلام ابن تيمية التالي يشهد لما أسلفناه، فقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) تَعْلِيمُ **حُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ** جَمِيعًا؛ بَلْ تَعَلُّمُ مَعَانِيهِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ بِتَعْلِيمِ حُرُوفِهِ وَذَلِكَ **هُوَ الَّذِي يَزِيدُ الْإِيمَانَ** كَمَا قَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُمَا: تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إِيمَانًا وَأَنْتُمْ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ»[(٥)].

ويزيد لنا أبو سعيد الأمر بيانًا؛ فعن أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٧).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٩٨).
(٣) التفسير القيم (ص: ٣٩١).
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٤).
(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٣).

«**يقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر**»، فقال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثّلاثة؟ فقال: «المنافق كافر به، والفاجر يتأكّل به، **والمؤمن يعمل به**»[(١)].

واستنادًا إلى ما سبق نرى أنه **يبعد جدًّا** أن يكون المراد بالإيمان في هذا السياق مجرد «التصديق القلبي» أو «التعظيم والإقبال»، بل الأرجح ـ والله أعلم ـ أنَّ المراد منظومة الواقع العملي المتكاملة للصحابة.

الفرع الرابع: لِمَ كان التعبير بلفظة «الإيمان» ولم يكن بلفظة «العمل» أو «الاتباع»؟

لفظة الإيمان تتميز بكونها تُعبِّر عن **العمل المصحوب بالدافعية واليقين والقناعة**، والإيمان هو أقوى الدوافع وأعظمها، فكأنَّ هذه اللفظة تشير إلى أن النبي ﷺ لم يُعلمهم العمل الذي جاء في الآيات فحسب قبل تعليمهم القراءة والضبط؛ بل علَّمهم العمل مع تزكية الدافعية لتطبيقه، وهو الدور الذي يقوم به التدبر؛ وكأن النبي ﷺ قد **علمهم العمل مصحوبًا بما يعين على حصوله وهو التدبر**.

كما أنَّ لفظة الإيمان تحمل إشارة قوية إلى التصديق واليقين والتعظيم والإقبال واستشعار أهمية القرآن، وتلك الأمور تُيسر وتُجَوِّد ولاشك العمل بالقرآن، فترتقي به إلى صورة متميزة من العمل؛ قال ابن القيم: «وكل علم وَعمل لَا يزِيد الإِيمَان وَالْيَقِين قُوَّة فمدخول وكل إِيمَان لَا يبْعَث على الْعَمَل فمدخول»[(٢)].

---

(١) أخلاق أهل القرآن (١٠٦).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٨٦).

ويقول سيد قطب: «إن في القرآن كنوزًا ضخمة من الهدى والمعرفة والحركة والتوجيه، **والإيمان هو مفتاح هذه الكنوز. ولن تفتح كنوز القرآن إلا بمفتاح الإيمان.** والذين آمنوا حق الإيمان حققوا الخوارق بهذا القرآن. فأما حين أصبح القرآن كتابًا يترنم المترنمون بآياته، فتصل إلى الآذان، ولا تتعداها إلى القلوب، فإنه لم يصنع شيئًا، ولم ينتفع به أحد، لقد ظل كنزًا بلا مفتاح... هؤلاء المؤمنون الذاكرون الله، القائمون بتكاليفه، المشفقون من حسابه وعقابه، الطامعون في رضائه وثوابه، هؤلاء **هم الذين تنفتح قلوبهم للقرآن**، فإذا هو هدى وبشرى»[(١)].

ويقول: «الرسول ﷺ نذير وبشير للناس جميعًا، **ولكن الذين «يُؤْمِنُونَ» هم الذين ينتفعون بما معه من النذارة والبشارة**، فهم الذين يفقهون حقيقة ما معه، وهم الذين يدركون ما وراء هذا الذي جاء به. إن الكلمة لا تعطي مدلولها الحقيقي إلا للقلب المفتوح لها، والعقل الذي يستشرفها ويتقبلها، **وإن هذا القرآن لا يفتح كنوزه، ولا يكشف أسراره، ولا يعطي ثماره، إلا لقوم يؤمنون.** ولقد ورد عن بعض صحابة رسول الله ﷺ: (كنا نؤتى الإيمان قبل القرآن) وهذا الإيمان هو الذي كان يجعلهم يتذوقون القرآن ذلك التذوق، ويدركون معانيه وأهدافه ذلك الإدراك، ويصنعون به تلك الخوارق التي صنعوها في أقصر وقت من الزمان. **ولئن كان القرآن هو الذي أخذ بأرواحهم إلى الإيمان، فلقد كان الإيمان هو الذي فتح لهم في القرآن ما لا يفتحه إلا الإيمان»**[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٧٠).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٤١).

لذا فقد انطلق النبي ﷺ في تربيته للصحابة من وصية القرآن الضمنية بتهيئة النفوس بمعاني الإيمان أولًا ليكتمل انتفاعها بالقرآن، فإذا ما كانت هناك قاعدة صلبة من الإيمان زاد القرآن الإيمان.

الفرع الخامس: القرآن يؤكد الارتباط بين الإيمان والانتفاع بالقرآن:

حفل القرآن بآيات تشير إلى أنَّ **كمال الانتفاع بالقرآن يكون بالإيمان، وأن الإيمان أعظم الوسائل المعينة على اتباع القرآن**، وأن بين القرآن والإيمان تناسبًا طرديًّا؛ حيث يزيد كل منهما الآخر، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النمل: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢، ٣].

قال العلامة السعدي: «فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، **وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به**، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة»[(١)].

وعن قتادة رضي الله عنه في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، قال: «البلد الطّيّب: **المؤمن سمع كتاب الله فوعاه فأخذ به فانتفع به**، كمثل هذه الأرض أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت. وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا عسرًا، مثل الكافر قد سمع القرآن فلم يعقله، ولم يأخذ به، ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئًا ولا تمرع شيئًا»[(٢)].

ويقول الإمام البخاري: «لا يجد طعمه إلا **من آمن به**»[(٣)]، ويقول مالك بن دينار: «أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا **صدع قلبه**»[(٤)].

المطلب الثاني: طبيعة علاقة أطفالنا اليوم بالقرآن:

ما زلت أذكر وأنا طفلٌ صغيرٌ أنَّ أقصى طموحي فيما يتعلق بالقرآن كان أن أحفظ ألفاظه! ويا حبذا لو حفظته بالقراءات العشر، وأن أكون مفسرًا للقرآن كالشعراوي رحمه الله فذاك حلم كبير.

ولم تكن تلك النظرةٌ للقرآن من عند نفسي، أو نتيجة لتصورٍ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٦٥).
(٢) أخلاق أهل القرآن (ص: ١٥٦).
(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٠٥).
(٤) الدر المنثور (٦/ ٢٩٨).

شخصيٍّ، بل كانت نظرة كل من حولي ومنهم استقيتُها؛ وإن آلمني أن تكون تلك نظرة الآباء والأمهات وجماهير الناس مرةً؛ فقد آلمني أن تكون تلك هى نظرة معلمي القرآن والدعاة ألف مرة.

لم يخبرني أحدٌ يومًا أنَّه يجب أن يكون طموحي فيما يتعلق بالقرآن هو: أن أكون من أهله، هو أن أعمل به وإن لم أحفظه، هو أن أصنع منه نسخة منظورة كما كان النبي ﷺ.

لم يخبرني أحدٌ يومًا أن حفظي للقرآن وضبطي له وسيلة لا غاية، فلا ينبغي أن تقف علاقتي بالقرآن عند مجرد حفظه وضبطه وقراءته وتفسيره دون أن يكون له عليّ أثر فى خلق أو عمل.

ولم يكن ذلك حالي وحدي؛ بل حال غالبِ منْ أعرف ومن عرفتُ بعد ذلك؛ حتى بعد أن وقفتُ على الحقيقة، حتى إنني لما حفظتُ القرآن حفظتُه كلازمٍ من لوازم بنائي العلميّ والدعويِّ؛ لأتميَّز فى طلب العلم والدعوة إلى الله، حفظته كأداة أستخدمها فى القيام بوظيفتي كداعية أو مُعلمٍ للعلوم الشرعية.

والمتابع لحال طبيعة علاقة أولادنا اليوم بالقرآن يجدها لا تعدو ما ذكرتُه؛ بل ربما كانت أسوأ؛ فقد اختلَّت التصورات عند البعض؛ فأضحى يعتبر الدعوات التي تنادي بحفظ الرعاية، أو حفظ الدراية، أو تدبر القرآن = دعواتٍ نظرية غير واقعية، وربما عدَّها دعواتٍ مثاليةً ممَّن لا يفهمون الشريعة فهمًا سليمًا، رغم أنه يرى ما أفرزته تجربة الاهتمام بحفظ الرواية فقط لأناسٍ كأولئك الذين ذمَّهم الله فى كتابه

بـقـولـه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥].

ولقد انشغلت كثيرًا بمشروع (القرآن علم وعمل) وتقريبه للكبار وتدريبهم عليه؛ لكنني لما رزقني الله بأطفال، ولما طالعت أحوال الأطفال عن قرب من خلال عملي في مجال (طب الأطفال)، ولما تابعت عن كثب أحوال الأطفال التعليمية في الحضانات (الروضات) وغيرها؛ ازددت يقينًا أن الأطفال أحوج لهذا المشروع من الكبار وأنهم أولى منهم به، ورجوت أن يكونوا أكثر انتفاعًا به.

ولما قمت باستقصاء البرامج التي تتناول علاقة الأطفال بالقرآن وجدت أنها تعنَى بثلاثة محاور رئيسة:

الأول: حفظ الألفاظ وضبطها.

الثاني: محاولة تفهيم الأطفال الآيات.

الثالث: محاولة توصية الأطفال ببعض الأعمال المستخرجة من الآيات، والتي تسمى فى بعض البرامج (هداية الآيات).

والبعض حاول الارتقاء بمفهوم الحفظ التقليديِّ الشائع اليوم إلى الحفظ السنيّ أو الشرعي، فاجتهد في الترقي بحفظ الأطفال من حفظ الرواية (الضبط) إلى حفظ الدراية (الفهم) إلى حفظ الرعاية (العمل).

وإن أخذنا فى الاعتبار أنَّ فطرة الأطفال إلى السلامة أقرب، وأنَّ همتهم أكثر تحررًا من همم الكبار، وأن قلوبهم أكثر نقاء = فالمتوقع أن تكون استجابتهم لوصايا القرآن أكبر بمجرد معرفتهم لها.

فسرعة الاستجابة سمة تميز الأطفال فعلًا، ولعل استجابة الأطفال

السريعة كانت سببًا فى اعتقاد البعض أن الأطفال ليسوا بحاجة إلى التدبر، أو سببًا فى حصره للتدبر فى مجرد فهم الآيات أو استخراج الوصايا منها (الشق العقلى للتدبر).

لكننا بعد استقصاء الواقع اليوم رصدنا أمورًا:

أولها: أنَّ مجرد فهم الأطفال للآيات ومعرفتهم بما توصي به، لم يكن كافيًا لدفعهم لاتِّباع تلك الوصايا.

ثانيها: أنَّ أولئك الأطفال الذين يستجيبون تكون استجابتهم أقل ديمومةً وعمقًا وكمالًا من أولئك الذين تدبرَّوا الآيات.

ثالثها: أنَّ السلامة الكاملة لفطرة الأطفال وقلوبهم وهممهم لم تعد كسالف العهد؛ بسبب كثرة الفتن والمغريات والشهوات والملهيات، وما ذلك عنا بخفيٍّ.

ومن ثّم أصبحنا أمام إشكالية لم تكفِ لحلها جذريًّا تلك الجهود سالفة الذكر، وتلك الإشكالية تتلخص في أنَّ الأطفال يفهمون الآيات جيدًا ويعرفون ما توصي به جيدًا، لكنهم ـ رغم ذلك ـ لا يحققون الاتباع الكامل لما أوصت به هذه الآيات.

وبتحليل تلك الظاهرة يتَّضح أن المشكلةَ تكمنُ في أنَّ قلوب هؤلاء الأطفال ما تحركت مع الآيات؛ لأنهم لم يتلقوا التحفيز الكافي الذي يزيد الدافعية لاتِّباع وصايا الآيات، ويُيسِّر ذلك الاتباع. وهذا باختصار هو الدور الذي يقوم به التدبر؛ كما حررناه فى مشروعنا الأم (القرآن علم وعمل)، حيث يشمل التدبر فى مشروعنا خمسة محفزات من الإسقاط، والتفكر فى المغبات، والتأمُّل فى الثمرات، والوجدانيات،

والأسماء الحسنى، فتزيد الدافعية من خلال تحريك القلب، فيزداد الإقبال على الاتباع، ويتيسَّر لمبتغيه؛ فالقلب هو الملك الذي متى ما تحرك تحركت الجوارح، ومتى ما سكن سكنت.

لقد رصدنا أنَّ أولادنا قد حققوا القناعة العقلية بالوصايا القرآنية، لكن القناعة القلبية ما تحققت بعد؛ لذلك تخلَّف الإتباع، ولذلك فإنَّ برنامج المتدبِر الصغير يطمح لحلِّ تلك الإشكالية، بإيجاد حلقة الوصل بين الوصايا المستخرجة من الآيات واتِّباعها؛ بتحقيق الارتباط الكامل المنشود بين أولادنا وبين القرآن؛ ليكونوا من أهله حقًّا.

وقد حررنا في مشروعنا الأم (القرآن علم وعمل) أنَّ التدبر وثيق الصلة بمعاني الإيمان الكامنة في النفوس، بل إنَّ القنطرة التي يعبر عليها التدبُّر للقيام بتحريك القلب وتحفيزه هي استثارة معاني الإيمان الكامنة في النفوس، لذا كان حرصنا في برنامج المتدبر الصغير على تعاهُد ذلك الإيمان في داخل قلوب الأطفال؛ ليكون دعامة أساسية في تيسير العملية التدبرية بعد ذلك.

المبحث الثاني

تقريب التدبُّر للأطفال؛ تحديات وشبهاتٌ

إنَّ تحقيقَ الأمل المنشود؛ بتمكين الطفل من تدبُّر القرآن الكريم؛ ليكون زادَهَ في تكميل شخصيته بكافَّة جوانبها = ليس طريقًا مفروشًا بل هو تحدٍّ صعبٌ وتكتنفه كثيرٌ من المشكلات، وتعترضه كثيرٌ من العقبات، واجتماعُ تلك العقبات إلى بعض الشُبهاتِ ربَّما يدفع البعض إلى القول بأنَّ ما نتغيَّاه مستحيلٌ، فالنجاح في الإجابة على تلك الشُّبهات، واقتراحِ الحلول الواقعية للمشكلات المتوقَّعةِ كلُّ ذلك يُساعد في إنجاح المشروع بإذن الله. وفي النقاط التالية نجيبُ ـ بإذن الله ـ على أهمِّ الشبهات المطروحةِ.

المطلب الأول: يقولون: الطفل لا يستطيع أن يتدبّر:

أولًا: نحن لا نُسلِّم بعدم قدرة الطفل[1] على التدبر، فكلُّ مهارات

---

(١) الطفل الذي نقصده في دراستنا هو الذي ينتمي للربع الأخير من مرحلة الطفولة المبكرة. ومن المتفق عليه بين الصعيد الأعظم من علماء نفس الطفل وأساتذة الطفولة والتربية المعاصرين، وكذا بين المتخصصين والخبراء في المجال ومختلف المنظمات الدولية المعنية بالطفولة ومن أهمها المجلس الدولي للتربية المبكرة (OMEP) ومنظمة الأمم=

التدبر متوفرة لديه، وإنما نشب الخلاف بسبب الاختلاف في تحرير مصطلح التدبُّر ذاته، فالبعض يظنُّه استنباطات وتأملات عقلية، والبعض الآخر يظنُّه تفهمًا.

فهنا ثلاث نقاط: الأولى؛ ينبغي أن نحرِّر مفهوم التدبر ونتفق عليه، **والثانية**؛ أن نثبت نظريًّا أنَّ الطفل لديه المهارات المطلوبة للتدبُّر، **والثالثة**: الاحتكام للتجربة الواقعية والنماذج العمليَّة التي تُثبت حصول التدبُّر للأطفال عن طريق حصول أثره.

والتدبر في برنامجنا، إسقاطٌ وتقييمٌ لمدى تطبيقنا لما توصي به الآيات، **وتفكُّر** في العواقب الحسنة والسيئة المترتبة على استجابتنا لما توصي به الآيات، **وتفاعل** بالدعوات والتنزيهات بما يناسب الآيات[(١)].

والطفل يحتاج للقيام لعملية التدبر إلى المهارات التالية: الفهم، والذكاء اللغوي، والذكاء الوجداني، والربط، والاستنباط. **وكلُّها مهاراتٌ تتوفر لدى الطفل في سنِّ السادسة؛ كما قرَّر المتخصصون.** «فقد أكدت الدراسات الحديثة على أنَّ الطفل ليس صفحةً بيضاء كما كان يُظَن؛ بل هو فرد لديه قدراته الخاصة ومهاراته، ولديه طريقته في

=المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNESEF) وغيرها، أنَّ مرحلة الطفولة المبكرة تشير إلى الأطفال من الميلاد وحتى عمر ثماني سنوات» انظر: خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة، د. ليلى كرم الدين (ص: ٢) غير أن البعض يعتبر نهاية الطفولة المبكرة عند عمر السادسة، والبعض عند عمر السابعة، انظر: حقوق الطفل في الإسلام في مرحلة الطفولة المبكرة، د. محمود بن إبراهيم الخطيب (ص: ٥).

(١) لمزيد من التفاصيل، يُراجع كتابنا «تيسير التدبر».

تفهم ما يدور حوله وتفسيره، وإنَّ دور مَن حوله يتمثل في توفير البيئة المناسبة والقدوة الحسنة، وتقديم الدعم والتقبل والتشجيع غير المشروط للطفل»[(١)].

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: «**قد يستغرب بعض الناس من وصفنا للطفل بالمفكر**؛ لأنهم يظنون أنَّ الأطفال غير مؤهلين للتفكير بطريقة جيدة، **وهذا غير صحيح**، فالمسألة منوطة بطريقة التعليم التي يتلقاها الأطفال في المدارس، ومنوطة بما يمكن أن يتلقوه من تدريب على التفكير الجيد... المشكلة على صعيد التأسيس لعقلية (الطفل المفكر) أن **الأسر وكذلك المدارس تشعر بأنها في عجلة من أمرها، وأنه ليس لديها الوقت الكافي لمساعدة الأطفال على التأمل** والنظر في خلفيات الظواهر التي يعايشونها، كما أنها لا تشعر بالمسئولية عن جعل الصغار يفكرون بطريقة صحيحة، وهذا في الحقيقة امتداد للتربية القديمة التي تحبذ للصغار أن يكونوا سلبيين وعلى درجة عالية من الخضوع العقلي... إن أفضل ما يقدمه الكبار للصغار هو مساعدتهم على إنارة عقولهم، ليس عن طريق القصص والحكايات والمعارف الصحيحة فحسب، **وإنما عن طريق تدريبهم على التأمل وطرح الأسئلة، وتقديم المقترحات**»[(٢)].

بل قام علماء النمو النفسي بتحديد أهم الحاجات النفسية للأطفال

---

(١) ورقة عمل بعنوان «رياض الأطفال لمستقبل مضيء للأمة» ضمن بحوث ندوة «الطفولة المبكرة» ١٤٢٥هـ (ص: ٢).

(٢) تأسيس عقلية الطفل للدكتور عبد الكريم بكار (ص: ٨١ ـ ٨٣).

خلال مرحلة الطفولة المبكرة، وذكروا منها: **الحاجة إلى الاستطلاع والمعرفة والفهم والحاجة إلى النجاح والإنجاز**[١].

وترى الدكتورة ليلى كرم الدين[٢] أنَّ **أهم إستراتيجيات التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة** وأنسبها ينبغي أن تشمل التعلم عن طريق الاستكشاف، والتعلم الذاتي، والتعلم المستمر، والتعلم عن طريق الاستقصاء، والتعلم الاجتماعي عن طريق النموذج والمحاكاة، والتعلم التعاوني، وحل المشكلات، وطرح التساؤلات، وعمل المجموعات الصغيرة مع المناقشة، وتنمية وخلق المتعلم المستقل، والعمل لـ[طفل لطفل] وقيام الأطفال بمساعدة رفاقهم، وإعطاء المتعلم فرصة للتأمل حول ما يقوم به من أنشطة، وتنمية حب الاستطلاع، وتنمية الإحساس بالمسؤولية وتقدير الذات، وتشجيع المبادرة عن طريق التخطيط والعمل[٣].

فنجاح تلك الاستراتيجيات يشير إشارة واضحة إلى **تمتع الطفل بكل ما يحتاجه من مهارات**، والتدبر ولا شك أنه يحتاج لمهارات أقل من ذلك بكثير.

وقد حدَّد علماء نفس الطفل والتربية لمدرسة القرن الحادي والعشرين الخاصة بالطفولة المبكرة، خصائص عديدة منها: تعليم

---

(١) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٢٠).

(٢) الأستاذ بمعهد الدراسات العليا للطفولة، وكيل المعهد ومدير مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس سابقًا، ورئيس لجنة قطاع الطفولة ورياض الأطفال بالمجلس الأعلى للجامعات بجمهورية مصر العربية.

(٣) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٤٢).

وتدريس حل المشكلات، تعليم وتدريس التفكير الناقد والتحليلي، وتعليم وتدريس التفكير الابتكاري، والتأكيد على التعلم التعاوني، ووضع الخطط للتربية والتعلم الذاتي والفردي، وأهمية الاعتقاد بإمكانية تنمية الأطفال في مختلف جوانبهم والإسراع من معدل نموهم[(١)].

سبحان الملك! عجيب أمر المسلمين! ففي الوقت الذي تتنافس فيه الدول الكبرى الآن على الاستثمار في مرحلة الطفولة المبكرة وتنمية جميع قدراتهم؛ ليسودوا بهم العالم بعد ذلك، ما زال بعض الفضلاء يجادل في قدرة الطفل على التفهم أو التدبر أو التفكر أو الربط الواقعي، ويأبون لأطفالنا إلا أن يكونوا أشرطة كاسيت تسير على الأرض.

بل أعتقد أنَّ بعض الفضلاء اليوم لو قلنا لهم: إن الطفل يتمكن من القيام بتلك الأعمال وتعلم تلك المهارات التي ذكرها أولئك المتخصصون لاتَّهمونا بالجنون، رغم أنهم من غير المتخصصين.

فإذا سلَّم المنصفون بأنَّه يمكن ـ نظريًّا ـ للطفل أن يتدبَّر؛ فإنَّ النَّظر إلى المقاصد الشرعية يُوقفنا على ضرورة أن نعمل على تقريب التدبُّر له عمليًّا، فالتدبُّر من أهمِّ مقاصد إنزال القرآن الكريم، وموقعه كالقاطرة التي تقودُ جميع العبادات بما فيها الصلاة، فإذا كنَّا مأمورين بتعليم الأولاد الصلاة لسبعٍ وضربهم عليها لعشرٍ؛ فلا يبعد أن نقول: إننا مأمورون بتعليمه التدبُّر لسبعٍ أو قبلَ السبع. **وليس معنى أن الطفل غير**

(١) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٤٥).

مكلف بالفرائض ألا نعلمه إياها وندربه عليها، وإلا فانطلاقًا من هذا الفهم، لا ضرورة لتعليم الطفل الصلاة لسبع وضربه عليها لعشر، ولا ينبغي أن نسمح له بأداء فرائض كالحج والصوم وغيرهما، وعلى هذا الفهم فتلك العبادات غير مقبولة منه، **فنحن لانقول بإلزام الطفل بالتدبر الآن والقول بأنه يأثم إن لم يتدبر، لكن ذلك ليس معناه أنه ليست لديه القدرة على التدبر**، وأننا لاينبغي لنا أن نعلمه التدبر اليوم استنادًا إلى ذلك الزعم.

ثانيًا: خروجًا من ذلك الخلاف الدائر حول قدرة الأطفال على التدبر، نُقَسِّم برنامجنا إلى مرحلتين «تلقينية»، «احترافية»، فلانزال نعدُّ للطفل الآيةَ بكل تفاصيل التدبر الخاصة به، ونُدَرِّس له تدبُّرَها، ولا خلاف في قدرة الطفل على فهم ذلك والتفاعل معه، ثم نبدأ تدريجيًّا في إسناد بعض خطوات التدبر له؛ ليقوم بإعدادها بمفرده؛ حتى يتم له التمكن التام من إعداد التدبر الخاص بالآية بمفرده (الاحتراف).

ثالثًا: بعض الأمثلة الواقعية التي تشهد لإمكانية تدبر الأطفال للقرآن:

١ ـ بل لقد أثمر الإسقاط والتدبر الخاتمة الحسنة لصبي صغير لم يبلغ الحلم بعد، فقد ذُكر أنَّ أحد الصالحين في بغداد رأى صبيًّا على باب مكتب يبكي، فسأله عن ذلك فقال: «**كتب لي المعلِّم في اللوح سطرًا أبكاني**»، فقلت: ما هو؟ قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم**: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥﴾ [**التكاثر**: ١ ـ ٥]، **تهديد بعد تهديد، وتخويف بعد تخويف يخوِّف الله به عباده**»، فقال له: أخِّر

بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا، قال: «**وما يكتب؟**» قال: قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾، فاضطرب الصبي فسقط ميتًا، فوثب إليه المعلم وقال: أنت قتلته، فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة، فقصَّ عليه القصة فقال: «**دعوه فقد أسرع الصبي الصالح إلى منازل السعداء**»(١).

٢ ـ وتأمل حال تلك الأميرة المتدبرة؛ وكيف تغير حالها، لما أسقطت الآية على نفسها: روي أنَّ ملِكًا كثير المال كانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبُّها حبًّا شديدًا، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكث كذلك زمانًا، وكان إلى جانب الملِك عابد، فبينا هو ليلة يقرأ إذ رفع صوته وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، فسمعت الجارية قراءته فقالت لجواريها: كفُّوا فلم يكفُّوا، وجعل العابد يردد الآية، والجارية تقول لهم: كفوا فلم يكفوا... فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة. فأقبل إليها فقال: يا حبيبتي ما حالك منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمَّها إليه. فقالت: أسألك بالله يا أبه، لله عز وجل دار فيها نار وقودها الناس والحجارة؟ قال: نعم. قالت: **وما يمنعك يا أبه أن تخبرني؟ والله لا أكَلت طيِّبًا ولا نمت على ليِّن حتى أعلم أين منزلي في الجنة أو النار؟**(٢).

٣ ـ ولازال الخير في أمة محمد ﷺ لم ينقطع بعد؛ ففي دورة مكثفة

---

(١) ذكر القصة الصفوري في نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢/ ٣٥).
(٢) ذكر القصة ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٥٣١) عن أبي عياش القطان.

لحفظ القرآن الكريم، طلبنا من معلمي الأولاد أن يطالبوهم باختيار آية واحدة من حفظهم ويسقطوها على أنفسهم ويقيموا أنفسهم في ضوئها، فأبهرنا الطلاب بتدبرهم، وكان أكثر النماذج إبهارًا طفل عمره قرابة عشر سنوات، أخبر معلمه أن ما استوقفه هو قول الله عز وجل في سورة يوسف: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: ٩]؛ فتعجب المعلم؛ وسأله عن السبب، فقال: «**لقد كنت أؤذي إخوتي بالمنزل، فلما وضعت نفسي مكان سيدنا يوسف وتصورت حجم الألم الذي سببه له إيذاء إخوته له، ندمت ونويت ألا أؤذي أحدًا من إخوتي ثانية**».

٤ ـ طفلة صغيرة عمرها خمس سنوات ضربها أخوها الذي يكبرها قليلًا، وحينما أرادت الأم أن تعاقب الابن، فُوجِئتْ بصغيرتها تقول: لقد سامحته كما فعل يوسف وسامح إخوته. (وكانت الأم قد قصت عليه قصة يوسف قبل ذلك). لقد أسقطت الطفلة دون شعور منها القصة على نفسها ورأت نفسها محتاجة للتأسي بها، وتفكرت في ثمرات وغبات فعلها، طبقًا لما عرفته مما ترتب على مسامحة يوسف لإخوته، فلم تجد الصغيرة غضاضة في المسامحة النبيلة.

٥ ـ يقول الدكتور محمد الربيعة: «معلمة كانت تعلم الأطفال ذوي سن الخامسة سورة الفجر، فكانت تعرض لهم بما يناسب عقولهم قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ فشرحت لهم الآيات بأسلوب مبسط مركزة على غرس المعاني الإيمانية، تقول لهم: هذا حال الكافر يوم القيامة يقف بين يدي النار ليس معه عمل، لم يؤمن بالله، لم يصل، لم يطع والديه، لم لم لم... فذهب أحد الأطفال

بعد المدرسة للبيت، وجلس يردد الآيات لحفظها، وقد استغرق في استعراض المشهد في عقله حسب شرح المعلمة، حتى نسي نفسه، وجلس يكرر قول الله تعالى ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾، وقد اغرورقت عيناه بالدمع، ففطنت له أمه فسألته ما لك؟، فقال يا أمي: ليته آمن، ليته صلى، ليته أطاع والديه حتى لايدخل النار»[(١)].

المطلب الثاني: يقولون: نريد أن نغتنم صفاء ذهن الطفل في تحفيظه القرآن سريعًا:

وهذا كلام طيب، لكن **هل الأهم** أن نغتنم صفاء ذهن الطفل وقدرته على الحفظ، أم نغتنم **سلامة قلبه وزكاة نفسه وطهارة وجدانه وسرعة استجابته؟ هل الأهم** اغتنام صفاء ذهن الطفل وقدرته على الحفظ في تعلم الألفاظ، أم في **تعلم المعاني**؟ في تعلم القرآن أم في **تعلم الإيمان**؟ هل الطفل أحوج **لتعلم الإيمان الذي في القرآن** أم لتعلم ألفاظ القرآن دون فهم أو تدبر لها أو عمل بها؟

ولقد كان النبي ﷺ يدرك ضرورة اغتنام صفاء ذهن الطفل؛ فاغتنمه في تعليم الإيمان، ثم علَّمهم القرآن بعد ذلك فازدادوا إيمانًا، ولقد أسلفنا ما يؤكد ذلك، فما يريدونه اليوم يعد مخالفة لمنهجه الشريف.

وهذا عبد الله بن عباس ترجمان القرآن، والذي تربى بالقرآن على عين رسول الله ﷺ، أقصى قدر حفظه من القرآن، حتى عشر سنوات كان قرابة أربعة أجزاء، وانصبَّ اهتمام النبي ﷺ في تربيته على تعليمه

(١) من مشاركة لفضيلته على ملتقى أهل التفسير بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٠.

الإيمان قبل القرآن بالتمهُّل، ولعل حديث: «يا غلام إني أعلمك كلمات.....» يشهد لذلك.

بل كان القدر الذي يحفظه الطفل من أطفال الصحابة حفظ روايةٍ واستظهار يحفظُه درايةً وفهمًا في الوقت نفسه، وكانت (قراءة القرآن) عند الصحابة تعني حفظي الرواية والدراية، وأصل القراءة حفظ المقروء **واستيعابه في القلب**... قال ابن عباس: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأتُ المحكم (المفصل)»[(١)]، والمقطوع به هنا أنَّ المراد أنه **حفظها**، وفي رواية: «جمعت المحكم» فهذا يدل على أن المراد بالقراءة الحفظ، وأنها بهذا المعنى تعد **جمعًا في الذهن أو القلب**[(٢)].

وقال ابن الحاج: «وينبغي له أن يمتثل السّنّة في الإقراء، ومن جملة ذلك أنّ السّلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين إنّما كانوا يقرئون أولادهم في سبع سنين»[(٣)].

فإذا جمعنا ما قاله العلماء من أنَّ أطفال السلف كانوا يبدأون حفظ الرواية في سبع سنين، ربما يكون المنهج أن يحفظ الطفل في ثلاث سنوات (المفصل) فقط ولايزيد عليه، وذلك يؤكد على أن حفظ الرواية كان مع الدراية والرعاية، وتعريف «قرأت» أو «جمعت» بكونه حفظ مع استيعاب يشهد لذلك.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٩٣).
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ص: ١٧٥٨ ـ ١٧٦٠).
(٣) المدخل لابن الحاج (٢/ ٣٤٥).

ولعل ذلك ما جعل صاحب «سنن القراء» يقول: «على أنه يستحسن ألا يبلغ عشر سنين إلا وقد حفظ المفصل، ومعنى هذا أنه **يبدأ بتعليمه في سن السابعة**، إذ لا يحتاج الصغير إلى أكثر من ثلاث سنين ليحفظ المفصل ويجوده»[(١)].

وأريد إجابة ممن يتبنون منهج الإسراع، والانشغال بالقرآن على حساب الإيمان على هذه الأسئلة:

أولًا: أليس خير الهدي هدي محمد ﷺ؟ فلماذا نستبدل به غيره؟ أم أنها شعارات؟!

ثانيًا: هل نحن أحوج اليوم للإسراع في تحفيظ الأطفال الألفاظ أم النبي ﷺ الذي كان في أمسِّ الحاجة لمن يعي القرآن في صدره وينشره بين الناس؟ لاسيما والناس يدخلون في دين الله أفواجًا والناس بحاجة لمن يعلمهم، لكن النبي ﷺ يدرك أن الذي يتقن الألفاظ فحسب ربما ضر أكثر مما نفع، أما الحافظ المتفهم المتدبر العامل فسيكون أثره ولاشك أكثر ودوره أكبر.

ثالثًا: هل أطفال الصحابة أحوج للإسراع في حفظ الألفاظ أم أطفالنا؟ لاسيما ولم تكن حينها مصاحف أو حتى جمع للقرآن في مكان واحد، فلماذا نسرع اليوم نحن، والمصاحف موجودة والقرآن محفوظ؟ ألسنا أولى بالتمهل والتأني؟

رابعًا: أي الأجيال أكثر حاجة لأن يتربى على معاني القرآن وما فيه من الإيمان؟ أجيالنا اليوم التي دبَّ إليها الخلل أم جيل الصحابة

---

(١) سنن القراء (ص: ٥١).

الفريد؟ ألسنا أحوج لحل مشكلاتنا وتربية فلذات أكبادنا على معاني القرآن لنعبر بهم بحار الفتن بسلام؟

خامسًا: هل طريقتنا تحفز الطفل وتشجعه أكثر على حفظ القرآن والقيام بحقوقه أم طريقته ﷺ؟

إنَّ رصدنا لواقع الأطفال مع القرآن اليوم قد أوضح **أن تلك الطريقة التي لاتبالي إلا بالألفاظ كانت سببًا في صدِّ الكثير من الأطفال عن حفظ القرآن بل عن القرآن كله**، وخاصة أولئك الأطفال الذين يتعلمون بالأنماط البصرية أو الحسية، حيث لا يتمكنون من الحفظ بالأنماط السمعية المستخدمة في أغلب الكتاتيب ودور التحفيظ، فيُتَّهمون بالفشل والغباء، بل يبدأ بعضهم للأسف في بُغض القرآن؛ لأنه تسبب له في ذلك الألم النفسي.

أما الطريقة النبوية فهي تبدأ (بالإيمان) فتساعد الطفل على فهم الطفل المعاني وتعلمه تدبرها والعمل بها، وتتابعه في ذلك، فيحب الطفل القرآن ويزداد إقباله عليه ويجد له أثرًا في حياته، ثم يتعلم بعد ذلك الألفاظ «المباني» فيضبطها ويحفظها (القرآن) بلا أدنى مشقة، بل يتشوق لتعلم غيرها.

سادسًا: هل تجعل طريقتنا حفظ الألفاظ أسهل على الأطفال أم أن طريقة النبي ﷺ تتسبب في تسهيله وتيسيره أكثر؟

من المُقرَّر أنَّ الفهم والتدبر والعمل يجعل حفظ الألفاظ أسهل، وقد كان العقلاء يستعينون على حفظ الألفاظ بالعمل بها، فما بالكم في الأطفال؟ وتؤكِّد الدراسات التربوية والنفسية والتعليمية الحديثة أن

التفهيم والممارسة تجعل الحفظ أيسر وأجود؛ لذا فإنَّنا نفترضُ أنَّ من انشغل مع حفظ القرآن أو قراءته أو تجويده بالعمل؛ فإن الأمر سيكون أيسر عليه، وأثبت لديه. قال وكيع: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْفَظَ الْحَدِيثَ فَاعْمَلْ بِهِ»[(١)].

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال: «كنا نستعين على حفظ الحديث **بالعمل به**»[(٢)]. وقال ابن القيم: «فَترك الْعَمَل بِالْعلمِ من أقوى الأسباب فِي **ذَهَابه ونسيانه**»[(٣)].

وقال الزرقاني: «وما من شكٍّ أنَّ العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس من أن التطبيق يؤيد المعارف والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصًا المعارف الدينية فإنها تزكو بتنفيذها وتزيد باتباعها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ أي: هداية ونورًا تفرقون به بين الحق والباطل وبين الرشد والغي كما جاء في بعض وجوه التفاسير، وذلك أن المجاهدة تؤدي إلى المشاهدة والعناية بطهارة القلوب وتزكية النفوس تفجر الحكمة في قلب العبد»[(٤)].

سابعًا: هل تجعل طريقتنا حفظ الألفاظ أدق وأجود أم أن طريقة النبي ﷺ تؤدي إلى تجويد الحفظ وترسيخه أكثر؟

---

(١) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص: ١٥٧).
(٢) اقتضاء العلم العمل (ص: ٩٠).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٠).
(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣١١).

إنَّ الذي يحفظ ألفاظًا لايفهمها ولا يطبقها، يكون من الصعب عليه جدًّا أن يتعاهدها، ويبذل جهدا جهيدًا في منعها من التفلُّت، ولولا الرغبة القوية في المحافظة على ما يحفظه لتفلت منه بسهولة، «فالأطفال (وبشكل خاص الصغار منهم) يتعلمون أفضل وأبقى أنواع التعلم عن طريق النموذج كما أنهم يقلدون في المعتاد البالغ الذي يحبونه»[(١)]. ولعل ذلك يفسر نسيان الكثير من الأطفال الذين يحفظون القرآن كله له تقريبًا مع تقدم العمر وانشغال أحدهم بأمور أخرى كالدراسة أو العمل ونحوهما.

ثامنًا: أي الطريقتين أثمرت: طريقتنا أم طريقة النبي ﷺ؟ وما مخرجات الطريقيتين؟

إنَّ طريقتنا قد أفرزت، أطفالًا يحفظون الألفاظ ولا يفهمون المعاني أو يتدبرونها أو يتبعونها، فكانوا كمن قال الله عنهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا...﴾، لقد صنعنا نماذج قد ذمها القرآن نفسه، نماذج حدث لديها انفصام بين ما يحفظونه وما يفعلونه، نماذج اهتمت بالاسم والرسم على حساب المضمون، وبالحروف على حساب الحدود، **والعلم الحديث نفسه اليوم يقول**: إنه «يلزم الانتباه إلى أن الطفل كائن متكامل وأن هناك علاقة تفاعل وارتباط بين مختلف جوانبه بحيث إنه من غير المجدي التركيز على تنمية جانب واحد للطفل مهما كانت أهميته دون باقي الجوانب. والملاحظ أن البرامج والأنشطة والمواد

(١) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٣٤).

التربوية التي أعدت حديثًا تسعى لتحقيق التنمية المتكاملة الشاملة للطفل في مختلف جوانبه، ويحرص معدو هذه المواد على أن تتمكن من تنمية الأطفال بدنيًّا ولغويًّا وعقليًّا واجتماعيًّا وانفعاليًّا... وهكذا»[(١)].

فهل تسهم طريقتنا تلك في صنع شخصية مسلمة متميزة مفكرة، كتلك التي صُنِعَت على عين رسول الله ﷺ بمنهج: (الإيمان قبل القرآن)؟

تقول الدكتورة ليلى كرم الدين: «من المتَّفق عليه أنَّ ذكاء الطفل وعقله وتفكيره يبنى خلال السنوات الأولى من عمره عن طريق قيامه بالخبرات الحسية (الحركية)، أي عن طريق استثارة حواسه والقيام بالنشاط الحركي الفعلي والتجريب النشط؛ نتيجة لذلك يلزم الحرص على استثارة جميع حواس الطفل كما يلزم أن يقوم الطفل بأكبر قدر ممكن من النشاط والعمل والتجريب على الأشياء ليُبنى ذكاؤه وينمو تفكيره، فأصل الذكاء الإنساني يكمن فيما يقوم به الطفل الصغير من أنشطة حسية (حركية)؛ نتيجة لذلك تركز جميع البرامج التنموية الحديثة التي تعد وتقدم للأطفال وبشكل خاص خلال مرحلة الطفولة المبكرة على ممارستهم للخبرات والأنشطة، وهي استراتيجية تربوية حديثة يطلق عليها استراتيجية) الأيدي على النشاط والأيدي على الخبرات: Hands on Activity, Hands on Experience)»[(٢)].

ولعل البعض يقول: لكن الرسول فعل ذلك؛ لأنَّ القرآن كان ينزل مفرقًا.

---

(١) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٣٨).
(٢) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٣٤).

وهو كلام عجيب في الحقيقة؛ لأنَّ الصحابة الذين حدثونا عن منهج (الإيمان قبل القرآن) كابن عمر وجرير وغيرهما، قد شرعوا في تعلم القرآن وقد نزل منه قدرٌ كبير جدًّا، بل لم يخبرنا أحد أن النبي ﷺ خالف منهجه ذلك في حياته كلها أو أنه انتهجه في البداية ثم تخلى عنه في النهاية.

وثَمَّتَ إشكالية أخرى، حيث يقول البعض: الناس لا يتفهمون ذلك ولا يقبلونه الآن.

وما المانع أن نفهمهم ونوضح لهم؟ ألا يستحق الأمر ذلك؟ فالناس لايقبلون غير ماهم عليه الآن إلا لأنهم يتصورون أنه أفضل شيء، وتجربة واحدة حَرِيَّة بأن تجعل الآباء والأمهات أنفسهم يطلبون منكم ذلك، فالوالد لما يرى ولده قد تحسنت سلوكياته بالقرآن، سيقبل ولاشك بل وسيساعدنا.

وفي محاولة للتملص والهروب، يقولون: الحفظ مرحلة ثم نفهمه ونعلمه التدبر والعمل بعد ذلك.

أولًا: هذا لا يحدث في الواقع، بل ما يحدث أنه بعد أن يفرغ من حفظ الألفاظ، ينتقل لحفظ رواية جديدة أو قراءة جديدة، أو تنصرف همته للتحفيظ.

ثانيًا: وإن حدث ذلك فإنه مخالف لهدي النبي ﷺ، فقد كان يعلم عشر آيات عشر آيات، ولا يتجاوزهن حتى يتعلم الصحابي ما فيهن من العلم والعمل، بل مع الأطفال كان يعلمهم مافي الآيات من العلم والعمل (الإيمان) أولًا، ثم يعلمهم الألفاظ بعد ذلك (القرآن).

إنَّ ذلك التفكير يشبه تفكير مَن هو أحوج ما يكون لبناء بيت يسكنه، ويعلم أنه لكي يبني بيته لابد أن يشتري موادّ البناء ثم يتعلم كيف يبني ثم يشرع فيه، فينفق كل وقته وجهده في شراء مواد البناء ويشتري منها ما يكفي لبناء خمسة أدوار، ثم توافيه المنية ولم يَبْنِ حائطًا واحدًا!

المطلب الثالث: منهج الصحابة ارتكز على التمهل والتدرج والكيف لا الكم:

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا **يقرئوننا القرآن** كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات **لم يجاوزوها** حتى يتعلموا ما فيها من **العلم والعمل**، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا[(١)]. **ولقد سرى ذلك المنهج في أوصال الصحابة فنقلوه لمن بعدهم وتعاملوا معهم به:** فقد كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ مِنْ الْعِرَاقِ يُخْبِرُونَهُ أَنَّ رِجَالًا قَدْ جَمَعُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى. فَكَتَبَ عُمَرُ أَنِ افْرِضْ لَهُمْ فِي الدِّيوَانِ. قَالَ: فَكَثُرَ مَنْ يَطْلُبُ الْقُرْآنَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ: أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ. فَقَالَ عُمَرُ: (**إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يُسْرِعُوا إِلَى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**). فَكَتَبَ أَنْ لَا يُعْطِيَهُمْ شَيْئًا[(٢)].

وفي الوقت الذي نتفاخر نحن اليوم فيه بالكم المحفوظ وجمال الأداء لدى أطفالنا، نجد النبي يذمُّ المنشغلين بذلك على حساب الإيمان، تفهمًا وتدبرًا واتباعًا، فيقول: «بادروا بالأعمال خصالًا ستًّا:

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٩).
(٢) المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٤٩).

(وذكر منها) **ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم؛ ما يقدمونه إلا ليغنيهم**»[(١)]، كما جاء ذم مثل هؤلاء الصبيان على لسان ابن عمر والحسن البصري وغيرهما من السلف.

ويصف الدكتور فايز الزهراني منهج النبي وأصحابه في إقراء القرآن وتعليمه بأنه كان يتميز بتعليم التلاميذ أحكام الآيات وآدابها والتربية عليها بتدرج بحيث لا ينتقل إلى غيرها من الآيات إلا بعد أن يرى منهم التأثر والاستيعاب والتطبيق، لقد كان تعليم القرآن يقتضي فهم المراد من آياته... هكذا كان هدي النبي ﷺ في تعليمه القرآن لأصحابه، وهكذا كان أصحابه في تعليمهم القرآن لطلابهم: تعليم القرآن حفظًا وتجويدًا وأداءً وأحكامًا وآدابًا، ولم يكونوا بحال من الأحوال يستسيغون أن يحفظ المرء كتاب الله ثم هو لا يعقل معانيه، أو لا يتأدب بآدابه، أو لا يعمل بأحكامه[(٢)].

وما زالت تلك الرؤية تسري حتى بلغت التابعين؛ فلقد كان أبو عبد الرحمن السلمي خير خلف لخير سلف، وصف إسماعيل بن أبي خالد منهجه فقال: «كان أبو عبدالرحمن السلمي يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات»[(٣)]. وعن عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ: «أَقْرَأَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلمي القرآنَ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ أَحَدُنَا الْقُرْآنَ قَالَ: قَدْ أخذتَ عِلْمَ اللَّهِ، فَلَيْسَ أحدٌ الْيَوْمَ أفضلَ مِنْكَ إِلَّا بِعَمَلٍ»[(٤)].

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٧٢).

(٢) من مقالة له على ملتقى أهل التفسير بعنوان «حلقات ابن مسعود بمسجد الكوفة، قراءة إدارية وتربوية».

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٠، ٢٦٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١١٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٦).

ولم يصدر ذلك منه مرة واحدة بل كان ديدنه، ورواه عنه كثير من أصحابه حتى كاد يبلغ حد التواتر، فعَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ: أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ إِذَا خَتَمَ عَلَيْهِ الْخَاتِمُ الْقُرْآنَ أَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا هَذَا؛ اتَّقِ اللَّهَ! فَمَا أَعْرِفُ أَحَدًا خَيْرًا مِنْكَ إِنْ عَمِلْتَ بِالَّذِي عَلِمْتَ»(١).

ويُطلق الحسن البصري ربيب الصحابة وأحد كبار التابعين تحذيره من حفظ حروف القرآن فقط فيقول: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان **لا علم لهم بتأويله ولم يأتوا الأمر من أوله**، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، **وما تدبر آياته إلا اتباعه لعلمه**. أما ـ والله ـ **ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده**، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن كله ما أسقطت منه حرفًا.. وقد والله أسقطه كله، **ما رُئي القرآن له في خلق ولا عمل**، وإن أحدهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة في نفسي، ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الورعة.. متى كان القراء يقولون مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء» فالحسن يحذر من عدم أخذ أمر القرآن من أوله، وأوله هو تعلم ما فيه من إيمان وعمل، ليأتي بعد ذلك الحفظ على قاعدة سليمة فيزداد به القلب إيمانًا.

وقال أبو الوليد الباجي: «رُوِيَ عَنْ الصَّحَابَةِ **كَرَاهِيَةُ التَّسَرُّعِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ دُونَ التَّفَقُّهِ فِيهِ**... وسُئِلَ مَالِكٌ عَنْ صَبِيٍّ ابْنِ سَبْعِ سِنِينَ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَقَالَ: (مَا أَرَى هَذَا يَنْبَغِي)، وَهُوَ مَعْنَى مَا عَابَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) تفسير القرطبي (١/ ٧).

مَسْعُودٍ الزَّمَنَ الْآخِرَ أَنَّ قُرَّاءَهُ كَثِيرٌ، وَفُقَهَاءَهُ قَلِيلٌ، وَقَدْ مَدَحَ زَمَنَهُ أَنَّ فُقَهَاءَهُ كَثِيرٌ، وَقُرَّاءَهُ قَلِيلٌ»[(١)].

وقد روي أنَّ عمرو بن عتبة دعا معلم أولاده إلى التمهل والانشغال بالإتقان والإحكام، فقال له: «علّمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه... ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه؛ فإنّ ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم»[(٢)].

قال علقمة ـ أبرز تلاميذ ابن مسعود ـ عن نفسه: «**قرأت القرآن في سنتين**»[(٣)]، ويعلق الدكتور فايز الزهراني على ذلك بقوله: «وهذا يعني أن ابن مسعود **أخذ بالمنهج النبوي في تعليم القرآن** (كنّا لا نتجاوز عشر آيات حتى.....)، الأمر الذي **ورثه التلاميذ في تعليمهم لطلابهم**... لم يكن تحديد عدد الآيات مقصدًا[(٤)]، بل الفكرة الكامنة في تحديد الآيات هي **التدرج في حفظ القرآن والتربية على معانيه وأحكامه وآدابه.** لقد كانت تلك الأجيال على قدرٍ عالٍ من قوة الذاكرة وسرعة الحفظ، إلا أنّ المنهجية المتبعة هي التدرج في الحفظ بغرض التحقق من **انعكاس تأثيره على سلوك وسمت الحافظ...**

لم يكن الحفظ المجرّد طريقة متبعة عند ابن مسعود، بل **كان يقرنه**

---

(١) المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٤٩).

(٢) العقد الفريد (٢/ ٢٧٢).

(٣) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٥)، وهذا ربما أشار أنه كان يتعلم خمس آيات يوميًّا تقريبًا.

(٤) فلم يرد تحديدًا الوقت الذين كانوا يفرغون فيه من الآيات علمًا وعملًا؛ لكن ماورد يؤكد أنهم لم يكونوا يتجاوزون الرواية حتى يتم الفراغ من الدراية والرعاية، ولعل كلام ابن مسعود يؤكد ذلك: «فلانتجاوزهن حتى نعلم معانين والعمل بهن».

ببيان معاني القرآن وأحكامه وآدابه. قال مسروق: (كان عبد الله يقرأ علينا السورة، **ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار**)[(١)] إذن، التعليق على الآيات وشرحها والتربية عليها، وبيان مراد الله منها ...**كلّ ذلك من مهام معلّم القرآن**، فهذا ابن مسعود مع كونه مشدّدًا في الأداء متحرّيًا في الضبط؛ فهو أيضًا لا يُغفل جانب المعاني والأحكام»[(٢)]. ثم يقول في نهاية مقاله: «نستطيع القول بأن مسجد الكوفة... لم يقتصر الإقراء فيه على تسميع آيات القرآن وتجويدها، **بل تعدى ذلك إلى تعليم أحكام القرآن والتربية على آدابه ومواعظه**، وكان التعليم يسير وفق منهج وآليات، فيا معلّمي القرآن الكريم، في الحلقات والدور والمساجد، دونكم منهج تعليم القرآن الكريم فاتبعوه»[(٣)].

ويقول الدكتور خالد اللاحم تعليقًا على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: ٣٢]: «في هذه الآية سؤال عن هدف التمهل في إنزال القرآن وتفريقه على سنوات حياة النبي ﷺ كلها طيلة ثلاث وعشرين سنة. وكان سبحانه وتعالى قادرًا أن ينزل القرآن الكريم جملة، ينزله كله في ليلة واحدة، فيأتي الجواب الذي يعتبر منهجًا لكل مسلم في هذه الحياة إنه: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾، وتثبيت الفؤاد يعني **قوة القلب وصحة النفس** التي هي شرط لتحقيق النجاح في جميع مجالات الحياة. **ومثل هذا البناء التربوي لا**

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٦).

(٢) من مقالة له على ملتقى أهل التفسير بعنوان «حلقات ابن مسعود بمسجد الكوفة، قراءة إدارية وتربوية».

(٣) المرجع السابق.

يتناسب معه العجلة بل يحتاج إلى التدرج والتمهل؛ لأن بناء النفوس يختلف عن بناء أي شيء في هذه الحياة يحتاج إلى قاعدة: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾، فثبات اللفظ ورسوخ المعنى الذي يسهل ربط العلم بالعمل وتكوين المهارات التربوية يحتاج إلى ترتيل أي تمهل وطول نفس وصبر وأناة، أما الاستعجال فلا يبني الرجال؛ فمن أجل ذلك كان نزول القرآن منجمًا على الأيام والسنين تربية للنبي محمد ﷺ وأصحابه حالًا بعد حال وسنة بعد سنة، وهو منهج لتربية الناس في كل العصور.

فهذا سر عظيم من أسرار التربية بالقرآن الكريم، فمن أراد أن يحصل على طمأنينة القلب وسكينة النفس وثبات الفؤاد فعليه بحفظ القرآن رويدًا ومهلًا وتؤدة وسكينة وليحذر من العجلة.

إن ما نسمع عنه من المفاخرة في حفظ القرآن في شهرين أو ٥٦ يومًا، أو حفظ البقرة في يوم أو حفظ ٤٧ وجهًا في يوم كل هذا ليس على الهدي الصحيح وإن كان القصد والنية صالحة، فالمنافسة ينبغي أن تكون بطول المدة وليس بقصرها وبقلة العدد لا كثرته، فهذا هو المنهج المأثور عن السلف المقرر في القرآن والسنة.

قد يقول بعضهم: أحفظ اللفظ أولًا ثم أتفرغ بعد ذلك للتدبر فنقول له: **لم تفصل بين الأمرين؟ وقد رأيت الصحابة** رضي الله عنهم لم يفصلوا بينهما.. ثم لم العجلة؟ وما الذي يمنعك من التمهل والتأني وجمع أركان الحفظ جميعًا؟ إن حفظ القرآن يكون بالتدريج مع اجتهاد شديد في التطبيق لما يتم حفظه حتى يرسخ علمًا وعملًا، من يحفظ القرآن متبعًا هذا المنهج

الرباني يحصل له ما وعد الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ من تثبيت الفؤاد وما يترتب عليه من نجاح في كافة مجالات الحياة»[(١)].

وقال القرطبي: «وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ: لَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَكُتُبِهِ، **دُونَ مَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ**، فَيَكُونُ قَدْ أَتْعَبَ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْفَرَ بِطَائِلٍ، ولكن تَحَفُّظُهُ لِلْحَدِيثِ **عَلَى التَّدْرِيجِ قَلِيلًا قَلِيلًا مَعَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ**. وَمِمَّنْ وَرَدَ عَنْهُ ذَلِكَ مِنْ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ شُعْبَةُ وَابْنُ عُلَيَّةَ وَمَعْمَرٌ، قَالَ مَعْمَرٌ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ جُمْلَةً فَاتَهُ جُمْلَةً، وَإِنَّمَا يُدْرَكُ الْعِلْمُ حَدِيثًا وَحَدِيثَيْنِ»[(٢)].

يقول الدكتور عبد السلام المجيدي: «قد يعترض على هذا بأنه يطيل أمد الحفظ ومدته، والجواب أن **هذا هو الأمر الشرعي، ولا دخل لما آل إليه الأمر هذه الأيام في كثير من مؤسسات التحفيظ**، كما أن من مقتضيات ذلك إعداد معلم القرآن إعدادًا قويًّا يناسب قيامه بهذه الوظيفة الجليلة، كما لا يعترض على هذا بتفاوت مدارك المتعلمين لأن هذا المبدأ يفرض تفاوت التعامل مع كل طالب بحسب حاله. **وأما الصغار فلا بد من مراعاة مقدار ذلك معهم، لا إزالة الفكرة من أصلها**»[(٣)].

والعلم الحديث اليوم يؤكد أهمية التمهل والتروي في العملية

---

(١) الحفظ التربوي للقرآن (ص: ١٤).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ٤٠).
(٣) المنهج النبوي في التعليم القرآني (ص: ٣٢٧).

التعليمية، فتقول مارجريت دونالدسون: «إذا أراد أحدهم أن يشجع **نمو مهارات التفكير المجرد في المراحل الأولى**، فلن تكون **السرعة والثبات** من الأمور التي يجب التأكيد عليها، فالطفل الذي نتوقع منه أن يعطي استجابة سريعة وإجابة صحيحة، أو صوتًا صحيحًا كلما أعطيت له كلمة مجردة بواسطة مايسمى بالبطاقة الضوئية، لن يضع في اعتباره احتمالات **التفسير والفهم** أبدًا»[(١)].

(١) عقول الأطفال، مارجريت دونالدسون، ترجمة عدنان الأحمد (ص: ١٦٢).

المبحث الثالث

خصائص النمو لدى طفل مرحلة ما قبل المدرسة

من تمام ما يُزيل شبهة القائلينَ بأنَّ الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة لا يمكنه التدبُّر أن نطرح هذه النبذة المختصرة عن خصائص النمو لتلك المرحلة، وقد تخيرنا من خصائص النمو لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، بعض الجوانب **التي تتعلق بتعلم القرآن وتدبره والعمل به** كالجوانب العقلية والمعرفية واللغوية والاجتماعية وغيرها؛ لنؤكد على أن الطفل لديه من المهارات والقدرات في مرحلة الطفولة المبكرة القدر الذي يحتاجه لتعلم القرآن وتدبره والعمل به على أكمل وجه.

إنَّ ما يجعل مرحلة الطفولة المبكرة أكثر أهمية من بقية مراحل عمر الإنسان هو تميزها بحماس الطفل وحيويته وميله نحو اكتساب مهارات ومعارف، فليس هناك مرحلة في حياة الفرد توازي حماس الطفل للتعلُّم في تلك المرحلة، هذا إذا سمحنا بتقديم الخبرات بطريقة ملائمة للطفل من الناحية النمائية، كما أنَّ أساسيات التعلم الإنساني تُكتسبُ في هذه المرحلة من عمر الإنسان، ولذلك أثرٌ كبيرٌ على زيادة **النمو الاقتصادي**

في الدول التي تولي تلك المرحلة الاهتمام الكبير، إذ أشار الباحثون إلى أن برامج رياض الأطفال ذات الجودة العالية لا تحسن حياة الطفل وأسرته فحسب؛ بل ينتج عنها مكاسب اقتصادية للمجتمع؛ فالعنصر البشري أهمُّ العناصر اللازمة للإنتاج، وتتأثر قدراته ومهاراته تأثرًا مباشرًا بما يتلقاه في مرحلة طفولته، مما يؤكد أن النجاح الاقتصادي للدول يتأثر بمدى فعالية برامج التربية والتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، ولا أبالغ إذا قلت: إن مرحلة الطفولة المبكرة هي بداية لفترات النمو المهمة في حياتنا جميعًا، وإن إهدارها يعد إهدارًا لأهم عناصر الإنتاج المستقبلية وهو القوة البشرية، وقد قَدَّر البعض العائدَ الاقتصاديَّ لبرامج رياض الأطفال على مدى ثلاثين عامًا **بالضِّعف**، وقَدَّره البعض الآخر **بثلاثة أضعاف** تكلفة هذه البرامج، ففي برنامج نُفِّذ في بوليفيا بيَّنت الدراسات أنَّ كل دولار ينفق في تنمية ذلك البرنامج يعطي عوائد تبلغ حوالي ٢،٣ دولار، أما مشروع «روضة بري» في الولايات المتحدة الأمريكية فقد قدر العائد الاقتصادي له بـ ٧،٧١٦ دولارًا لكل دولار استثمر في هذا البرنامج، وهذا يعني أن **المجتمع يسترد ما دفعه**، بل ويحصل على فوائد من الاستثمار في مرحلة الطفولة المبكرة، ويوجد الآن شبه اتفاق بين الاقتصاديين على أن تحقيق النمو الاقتصادي المطلوب يحتاج إلى الاهتمام برأس المال البشري، وإلى الاستثمار في الإنسان منذ ولادته[(١)].

---

(١) ورقة عمل بعنوان «رياض الأطفال لمستقبل مضيء للأمة» ضمن بحوث ندوة «الطفولة المبكرة» ١٤٢٥هـ (ص: ٤).

المطلب الأول: خصائص النمو العقلي المعرفي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة:

إنَّ موقع مرحلة الطفولة المبكرة من حياة الإنسان بالغ الأهمية، فالمخ ينمو في تلك المرحلة بمعدل أعلى من نمو أي جزء آخر في جسم الإنسان، «وإن مفتاح تحقيق مزيدٍ من الذكاء لدى الطفل هو تنمية مزيدٍ من الروابط والصلات التشابكية بين خلايا الدماغ، وعدم فقدان الصلات القائمة، فالروابط هي التي تسمح لنا بحل المشكلات ومعرفة الأشياء»[(١)].

ويؤكد العالم (Harry chugani) على أهمية السنوات الأولى من عمر الطفل بقوله: «إن الخبرات والتجارب التي يمر بها الفرد في سنواته الأولى يمكن أن تُغيِّر بالكامل المسار أو الوضع الذي سيأخذه في حياته لاحقًا»، ويمكن تلخيص أهم الخصائص العقلية والمعرفية لطفل هذه المرحلة في الآتي:

١ ـ الفضول والبحث المستمر للوصول للحقائق، وهذا بدوره يدفع الطفل إلى سيل متدفق من الأسئلة يوجهها إلى المحيطين به؛ ليشبع حب الاستطلاع ليتمكَّن من الوصول لما يسعى لمعرفته.

٢ ـ قدرة الطفل على حل المشكلات، وأداء بعض المهام البسيطة، وهذا قد يساعد الوالدين والمحيطين بالطفل في استغلال هذه القدرة في محاولة الإجابة عن بعض التساؤلات.

---

(١) كيف نوظف أبحاث الدماغ في التعليم، إيريك جينسن، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ.

٣ ـ اكتشاف الطفل لبعض خصائص الأشياء، واتساع مجال إدراكه الحسي، ويستطيع الطفل في هذه المرحلة تكوين المعاني، ثم تتسع قدرته على تكوين المعاني والمفاهيم اتساعًا سريعًا.

٤ ـ تكوين المفاهيم؛ مثل مفاهيم الزمان والمكان والعدّ، ويطَّرد نمو ذكائه وقدرته على الفهم، وعلى تركيز انتباهه، ويكون تفكيره ذاتيًّا، إلا أنَّ هذا التفكير يظل خياليًّا وليس منطقيًّا حتى يبلغ الطفل سن السادسة.

٥ ـ يزداد التذكر المباشر لدى طفل ما قبل المدرسة، فيتذكر طفل الثالثة مثلًا ثلاثة أرقام، وطفل الرابعة والنصف يتذكَّر أربعة أرقام، ويكون تذكر الكلمات والعبارات المفهومة أيسر من تذكر الغامضة منها، ويستطيع الطفل تذكر الأجزاء الناقصة في الصورة، وتنمو القدرة حفظ الأناشيد وترديدها؛ وبخاصة الذاكرة البصرية والسمعية لتصل الذاكرة إلى ما يسمى «بالعصر الذهبي للذاكرة» بنهاية هذه المرحلة.

٦ ـ تنمو قدرة الطفل على فهم كثير من المعلومات البسيطة وكيف تسير بعض الأمور التي يهتم بها، وتزداد قدرته على التعلم بالمحاولة والخطأ؛ لظهور دوافع الاستطلاع لديه لمعرفة الأشياء والأشخاص والمواقف.

وهكذا يؤثر النمو العقلي للطفل بكل مظاهره السابقة في جعل الطفل في حالة نشاط عقلي دائم، فهو يحاول كشف العالم من حوله فيبدو شغوفًا بتوجيه الأسئلة الدائمة عن كل شيء للكبار من حوله، كما أن أسئلة الطفل تزداد بالطبع مع زيادة نضجه العقلي.

وقد بيّنت البحوث الطبية أنَّ **أسرع فترة نمو للدماغ هي في السنوات القليلة الأولى من الحياة**، وأنَّ لما يمر به الطفل في المرحلة الأولى من طفولته أثرًا دائمًا على قدرته على التعلم في المستقبل، والبحوث الجديدة التي أجراها الأخصائيون في بيولوجيا الجهاز العصبي والباحثون الآخرون أظهرت أيضًا أهمية **التحفيز الملائم** في السنوات الأولى من العمر(١).

ومرحلة الطفولة المبكرة توصف بكونها «**مرحلة مرنة**» **فيها يكون الطفل أكثر قابلية لتعديل السلوك**، فالطفل في حالة من التشكل والتكوين، وبالتالي هو قابل للتغير والتعديل في هذه أكثر من أي مرحلة نمائية أخرى؛ لذا يكون تعديل السلوك في هذه المرحلة المبكرة أكثر يسرًا وفعالية، ويكون الطفل أكثر استجابة للمواقف والخدمات والتدخلات العلاجية والإرشادية والوقائية التي تقدم له، فالطفولة المبكرة بقدر ما هي مرحلة مستهدفة للاضطراب وعدم الاتزان، فهي أيضًا مرحلة يسهل فيها تعديل السلوك وعدم الاتزان في اتجاه المسار الصحيح لنمو الطفل يفسر ذلك نجاح طرق تعديل السلوك (أو العلاج السلوكي) مع الأطفال في سن ما قبل المدرسة على وجه الخصوص، وذلك في علاج المخاوف وبعض الاضطربات السلوكية(٢).

وهذه الفترة العمرية المبكرة **مرحلة حساسة للتعلم ولاستيعاب**

---

(١) من مقال على الشبكة العنكبوتية بعنوان: «نمو الدماغ والتطور العقلي لدى الطفل» ترجمة د. إيهاب عبد الرحيم محمد.

(٢) قياس وتقييم النمو العقلي والمعرفي برياض الأطفال، د. مريم داوود سليم (ص:٧)

الخبرة التي يتعرض لها الطفل، فالطفل في حالة تهيؤ من داخله لاستقبال الخبرة من خارجه، دون أن تعطلها أو تصدها إلى حد بعيد استجابات متعارضة أو دون أن تعمل آليات الدفاع على تقليل أو تشويه تلك الخبرة، وتكشف بعض النظريات والأبحاث الفيزيولوجية أن الدماغ الإنساني في حالة دينامية نشطة... لهذا تعتبر هذه مرحلة مثلى للتعلم الفعال... ولكل هذه الاعتبارات، فإنه في هذه المرحلة يستقر الكثير من معالم الشخصية المميزة للطفل، والتي يعتبرها بعض علماء النفس «المحور» الذي يتبلور حوله بناء الشخصية في المراحل النمائية التالية، فالطفل في هذه المرحلة يحقق تقدمًا نمائيًّا ملحوظًا[(١)].

وتشير العالمة Lindsy إلى خمسة اكتشافات محورية في بحثها الخاص بالدماغ:

١ ـ أن نمو الدماغ يكون سريعًا في مرحلة ماقبل الولادة وفي السنة الأولى من عمر الطفل.

٢ ـ أن الدماغ في نموه وتطوره يكون أكثر حساسية من غيره من أعضاء الطفل في مدى تأثره بالبيئة المحيطة.

٣ ـ أن تأثيرات البيئة على نمو دماغ الطفل قوية وتبقى تأثيراتها مستمرة على المدى البعيد.

٤ ـ أن التأثيرات الإيجابية للبيئة لا تقتصر على نمو الدماغ أو عدد الوصلات العصبية في الدماغ، بل أيضًا على الأسلوب الذي يتم فيه تزويد وإغناء هذه الوصلات.

---

(١) قياس وتقييم النمو العقلي والمعرفي برياض الأطفال، د. مريم داوود سليم (ص: ٧).

٥ ـ أن هناك العديد من النتائج البحثية التي تشير إلى التأثير السلبي للضغط والتوتر في سنوات الطفولة المبكرة على عمل الدماغ ونموه[(١)].

وتشير الأبحاث الخاصة بالموضوع أن دماغ الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يكون **مرنًا وحساسًا في تأثره بالبيئة أكثر من دماغ الأطفال الأكبر عمرًا**، وهو يتطور ويتبلور تبعًا لما يتعرض له من خبرات في بيئته الخارجية، وتصل الأجزاء الحسية في الدماغ إلى ذروتها في النمو عندما تكون البيئة المحيطة غنية بالمثيرات الحسية بما تتضمنه من منبهات لحواس اللمس والنظر والصوت والشم والتذوق[(٢)].

المطلب الثاني: خصائص النمو اللغوي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة:

تتميز مرحلة ما قبل المدرسة بسرعة النمو اللغوي، تحصيلًا وتعبيرًا وفهمًا، ومن مظاهر هذا النمو:

١ ـ يتجه التعبير اللغوي لدى الطفل، في هذه المرحلة، نحو الوضوح والدقة والفهم.

٢ ـ يتحسن نطق الطفل، ويختفي الكلام الطفلي مثل الجمل الناقصة، والإبدال واللثغة وغيرها.

---

(١) التنشئة الاجتماعية للطفل العربي وعلاقتها بتنمية المعرفة، د. سهام عبد الرحمن الصويغ (ص: ١١).

(٢) التنشئة الاجتماعية للطفل العربي وعلاقتها بتنمية المعرفة، د. سهام عبد الرحمن الصويغ (ص: ١١).

٣ ـ يزداد فهم الطفل لكلام الآخرين.

٤ ـ يستطيع الطفل الإفصاح عن حاجاته وخبراته.

٥ ـ يقلد الطفل وبمهارة الأساليب المرتبطة بالكلام كأساليب الإخبار والنفي والتعجب والسؤال.

٦ ـ يحاكي الطفل أصوات الحيوانات، والطيور، والظواهر الطبيعية، والأشياء المألوفة كالساعة والقطار.

٧ ـ يعتمد الطفل في لغته اعتمادًا رئيسًا على الكلمة المسموعة، لا المكتوبة.

٨ ـ من دراسات لغة الطفل تبيَّن أن طفل الرابعة ينطق ٧٧٪ من أصوات اللغة نطقًا صحيحًا، و٨٨٪ في سن خمس سنوات، وتصل النسبة إلى ٨٩٪ في سن ست سنوات، ويبلغ حجم مفردات طفل الرابعة حوالي١٤٥٠ كلمة، وطفل الخامسة حوالي ٢٠٠٠ كلمة، وطفل السادسة حوالي ٢٥٠٠ كلمة.

٩ ـ وفيما يتعلق بالفروق بين الذكور والإناث، أشارت بعض الدراسات إلى تفوق الإناث على الذكور في القدرة المنطوقة، بينما أشارت دراسات أخرى إلى عدم وجود فروق دالة بينهما.

وهكذا يتضح أنَّ هذه المرحلة هي مرحلة أسرع في النمو اللغوي تحصيلًا وتعبيرًا وفهمًا، وتعرف هذه المرحلة «بالعصر الذهبي للغة في حياة الطفل»، فهو يلتقط كل جديد من الكلمات، ويحاول جاهدًا أن يكرِّر كلَّ ما يسمعه؛ كما أنَّ الأسئلة في هذه المرحلة اللغوية تتميز بالكثرة، فقد أشار البعض إلى أنَّ حوالي ١٠ ـ ١٥٪ من حديث الطفل

في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة، والأسئلة وحب الاستطلاع يساعدان على اتساع الحصيلة اللغوية للطفل.

المطلب الثالث: خصائص النمو الانفعالي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة:

من أبرز سمات النمو الانفعالي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة، الشعور بالقلق والخوف وما ينتاب الطفل من نوبات غضب، وإحساس بالغيرة، والحساسية الزائدة للنقد والسخرية من قبل آبائه ومعلميه. ومن أهم مسببات هذا القلق والخوف: الرغبة في كشف المجهول الذي يحيط به.

وتشير الدراسات، في مجال النمو الانفعالي للطفل، إلى أنَّ الانفعالات تؤدي دورًا هامًّا في حياة الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، كما يرجع اتزان الطفل في التعبير عن انفعالاته إلى بعض الأمور منها:

١ ـ **المناخ المدرسي**: يتمثل في الأنظمة المدرسية، التزام الهدوء داخل الفصل، توجيهات المعلمين.

٢ ـ **الخبرة والتعلم**: من خلال تعرف أن بعض السلوك مرفوض من قبل الوالدين والمعلمين وأن هناك استجابات تلقى القبول.

وفى سن الخامسة يتكون نوع من الاستقرار في حياة الطفل الانفعالية؛ نتيجة للأمان والطمأنينة التي تسود علاقته بأمه، ومع ذلك فهو لا يزال عنيدًا، ويستمر ذلك معه حتى نهاية المرحلة.

المطلب الرابع: خصائص النمو الاجتماعي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة:

لعل أهم ما يميز النمو الاجتماعي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة هو اتساع دائرة العلاقات الاجتماعية للطفل، وتنظيم عملية اللعب لديه، وتلخص «سحر نسيم» الخصائص الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة في النقاط التالية:

١ ـ الود والتعاون ورغبة الطفل الصادقة في إسعاد من حوله، وتفضيل صحبة الأطفال الآخرين لكونه في حاجة إلى رفاق في سنه.

٢ ـ فهم الطفل للأدوار التي يقوم بها في محيطه الاجتماعي.

٣ ـ ميل الطفل إلى منافسة الرفاق، ومحاولاته للتفوق عليهم.

٤ ـ الإحساس بالزمالة.

٥ ـ الولاء للمعلمة، والانتماء للجماعة.

٦ ـ يستمتع الأطفال باللعب الدراسي، والتمثيل واللعب الجماعي.

٧ ـ يحب الطفل الألعاب المنظمة ذات القواعد.

٨ ـ قد ينشأ صراع بين الأطفال أثناء اللعب؛ نتيجة لأن اهتمامات الأطفال بدأت تشمل الآخرين بدلًا من التركيز على نفسه فقط.

ويذكر حامد زهران أن «عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة تستمر، ويزداد وعي الطفل بالبيئة الاجتماعية، وتنمو الألفة، وتزداد المشاركة الاجتماعية، وتتسع دائرة العلاقات والتفاعل الاجتماعي في الأسرة ومع جماعة الرفاق».

الفصل الثاني

الإطار التطبيقيّ
(العملي)

المبحث الأول

الإطار التعريفيّ بالبرنامج

المطلب الأول: سر التسمية:

رغم أنه قد يتوهم للوهلة الأولى أن هدف البرنامج هو تيسير التدبر لدى الأطفال؛ إلا أننا نؤكد أن **هدف البرنامج يشمل ماهو أعمق وأكمل من ذلك**؛ حيث يشمل تيسير الانتفاع الأمثل بالقرآن وتيسير التحقق بوصف أهل القرآن على مراد الله، لكننا لما لمسنا أن الخلل في تحرير التدبر وتيسيره كان المتهم الأول في غياب المفهوم الصحيح لأهل القرآن وتخلف الصورة المنشودة من اتباعه، **آثرنا تسمية المشروع بما تميز به وبوسيلته والتي تحقق ولا شك غايته الأكبر.**

المطلب الثاني: شعار برنامج المتدبر الصغير:

وقد وقع اختيارنا على عبارة «**الإيمان قبل القرآن**» لتكون شعارًا للبرنامج، **يُلخِّص فكرتنا** ويُفصح عنها، فهي عبارة تصف المنهج النبوي في تعليم صغار الصحابة القرآن كما أفصحوا عن ذلك بأنفسهم.

المطلب الثالث: رؤية برنامج المتدبر الصغير:

أن يطبق كل طفل مسلم في العالم منهج «العلم والعمل»، ومنهج «الإيمان قبل القرآن» في التعامل مع القرآن الكريم؛ فيكون قرآنًا يمشي على الأرض، وأن يكون تدبُّر القرآن واتباعه والقيام بحقوقه كاملة كما أراد الله، هو طموح الطفل المسلم فيما يتعلق بالقرآن في الأجيال القادمة، وأن يتمكن الطفل المسلم من التحقق بوصف أهل القرآن في خلال عشر سنوات على الأكثر.

المطلب الرابع: رسالة برنامج المتدبر الصغير:

تيسير تدبر القرآن واتباعه والانتفاع الأمثل به، وإعانة أطفال المسلمين على أن يكونوا من أهل القرآن العالمين العاملين المبدعين، وتعليم أطفال المسلمين كيفية القيام بحقوق القرآن كاملة، وتسديد العديد من المفاهيم والممارسات المتعلقة بالقرآن، **وإحياء منهج «العلم والعمل»، «الإيمان قبل القرآن»** في كل ربوع الأرض من خلال الوحي الشريف وباستخدام أحدث الوسائل.

المطلب الخامس: أهداف برنامج المتدبِّر الصغير:

١ ـ **إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن**: والذي رُبِّيَ به أطفالُ الصحابة ﷺ، فسطروا أسماءهم بمداد من نور على جبين الدهر، وما ابن عباس وابن عمر وجندب ﷺ منَّا ببعيد.

٢ ـ **تيسير التدبر** ووضعه في إطار عملي بسيط مرتَّب يتمكن كل طفل من تطبيقه.

٣ ـ **تيسير وتحسين تعلم الأطفال للقرآن وعملهم به** وعلاج مشكلة عدم إقبال بعض الأطفال على القرآن أو تقصيرهم في حفظه أو قراءته أو التخلق بأخلاقه.

٤ ـ تربية الأطفال منذ نشأتهم المبكِّرة؛ على الفهم السديد **لطبيعة علاقتهم بالقرآن الكريم**؛ ليدركوا أنَّ مراد الله منهم أن يكونوا من أهل القرآن، وأنَّ ذلك هو ما ينبغي أن يكون أقصى طموحهم فيما يتعلق به.

٥ ـ تربية أطفالنا على أنَّ **الإيمان وحفظ الرعاية والدراية أهم من مجرد الضبط والإقراء وحفظ الرواية**، وفي كلٍّ خيرٌ، وفي اجتماعها الخيرُ كلُّه، وأنّ أهل الإيمان بالقرآن واتباعه وتدبره وحفظه رعايةً ودراية وروايةً هُم أولى الناس بوصف أهل القرآن، وأنَّ غيرهم غيرُ داخلٍ في ذلك الوصف الشريف مالم يحقق الشرط الأساسيَّ، **وهو العمل بالقرآن.**

٦ ـ مساعدة أطفالنا على **الاستفادة المبكرة من طفولتهم**، في رحلة التحقق بوصف أهل القرآن؛ ليكونوا من أهل الله وخاصته، ومَن كانت طفولته بهذه الصفةِ فقد أُعدَّ ـ ولا شكَّ ـ ليكون شابًّا نشأ في طاعة الله عزَّ وجلَّ، وبمثل هؤلاء تنهض الأمم وتُبنى الأمجاد، وتُحصَّل المفاخر والمآثر.

٧ ـ تربية أطفالنا على التفكير المنهجيِّ، **فالتدبُّر ـ في جوهره ـ منهجٌ للتفكير، وطريقة يتلافى بها العبد المشكلات ويتخطى بها الأزمات؛ لتسري تلك الروح التدبرية في تعاملاته مع كل شيء من حوله، فيكون له في كل موقفٍ خبرةٌ، وفي كلِّ مُشاهَدةٍ عِبرةٌ، ويسقط**

الأحداث والأحوال على نفسه؛ لينتفع بها، وينظر موضع الأقدامَ قبل الإقدام أو الإحجام، بتأمُّل الثمرات وتدبُّر المغبَّات، ويدعو الله دومًا أن ييسر له عمل الخيرات، وترك المنكرات. فأنّى لهذا الشخص أن يقع في المشكلات أو تصيبه الأزمات؟!

٨ ـ تنمية القدرات العقلية والمهارية **بصفةٍ عامَّة من خلال منهج التدبُّر المخطَّط.**

٩ ـ إصلاح قلوب أطفالنا وصيانتها مما يمرضها؛ **فالتدبر ينقي القلب ويوقظ الوجدان.**

١٠ ـ تزكية نفوس أطفالنا وصيانتها مما يدسيها **من خلال التعامل الرشيد مع القرآن المجيد، وتربيتهم على منهج (العمل بما يعلمون) الذي أعرض الناس عنه واستبدلوا به غيره، فحُرِموا بركته وخيره.**

١١ ـ تنمية الصلة بالله عز وجل **من خلال شق الأسماء الحسنى الذي يتضمنه برنامجنا التدبري.**

١٢ ـ **مساعدة من يريدون تربية أولادهم أو طلابهم** على المنهج النبوي في التعامل مع القرآن على ذلك، من خلال توفير منهجية عملية ميسرة تساعدهم على ذلك.

١٣ ـ **الدعوة للعودة ـ منذ الصغر ـ للحياة بالقرآن وللقرآن**، وترك ما كنا نقترفه من إعراض عنه وهجران؛ ليعود لنا مجدنا المسلوب، وينير الله لنا ـ من جديدٍ ـ كل الدروب.

١٤ ـ **الدعوة لثورة مفاهيمية وسلوكية** على العديد من المفاهيم

والسلوكيات التي كانت سببًا في إهمال وتضييع أبعاد ضرورية مهمة في عملية تعليم القرآن لأطفالنا.

أُدْرِك أن الأهداف والطموحات أكبر ـ ولاشك ـ من الموارد والإمكانيات، لكنها ليست أبدًا أكبر من قدرة القدير، وعون الرب الكبير، وتيسير الكريم سبحانه؛ لذا نتوكل على الله ونستعين به عليها، **وكلنا رجاءٌ وأمل أن يحقق لنا بنوايانا وآمالنا، ماتقصر عن الوصول إليه مجهوداتنا وأعمالنا**، إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وبتطبيق هذا البرنامج على نطاقٍ واسعٍ ولفترة كافيةٍ يُتوقَّع تحقيق الثمرات الآتية ـ بإذن الله ـ:

١ ـ تزكية النفوس، وتغيرها في اتجاه الأفضل تطهيرًا وتطويرًا؛ **فيصير الطفل المسلم متميزًا في محراب النسك والصلاة ومحراب الحياة، ويكون بحق إنسان الإيمان وفي ذات الوقت إنسان العمران.**

٢ ـ زيادة الإيمان بالله وأسمائه وصفاته في القلب، **وتحقيق لوازم ومقتضيات التوحيد.**

٣ ـ تمكن حب القرآن من القلوب، **وتقديره حق قدره، مما يزيد مساحة الاهتداء به، والانتصار له.**

٤ ـ زيادة الإقبال على القرآن **ودوام الأمل في القيام بحقوقه كاملة، حيث إن هذا البرنامج يؤثر في الطفل ويجد من بركته في حياته ما يزيده إقبالًا على المصحف وتعلقًا به وييسر عليه القيام بحقوقه.**

٥ ـ العصمة من الانحرافات المنهجية والسلوكية، **فالخوارج كان**

من أسباب ضلالهم ـ ولعله السبب الرئيس ـ اهتمامهم بالحروف على حساب المعاني والعمل.

٦ ـ تيسير تعلم القرآن والعمل به لدى السواد الأعظم من الأطفال **على اختلاف أنماطهم في التعلم وتباين الفروق الفردية بينهم؛ حيث تستوعب الطرائق المستخدمة في تفهيم الآية وتدبرها كل ذلك.**

٧ ـ تجنيب الأطفال كل الأسباب التي تحول بينهم وبين الحفظ والتعلم الجيد **وإزالة تلك الأسباب، ومن أمثلتها: الانفعالات، والتي يبددها السلام النفسي الناشىء عن التدبر والعمل.**

٨ ـ وضوحُ وسداد مقاصد التعليم القرآني **لدى المهتمين به والقائمين عليه.**

٩ ـ المساعدة على استحضار النية الصالحة قبل التلاوة والحفظ، **حيث يدرك الطفل من خلال البرنامج ما الغاية؟ وما الوسيلة؟ فيما يتعلق بعلاقته بالقرآن، ويدرك لماذا يحفظ؟ ولماذا يقرأ؟ وكل ذلك يسهل على الطفل القيام بكل حقوق القرآن والتخلق بآداب حملته.**

١٠ ـ تحسين آداء مدارس القرآن وحلقات الأطفال **لتكون كما أراد الله لا كما أراد الناس، فالناس يريدون كمًّا محفوظًا غير عابئين بالتغير السلوكي، أما الله فيريد بناء الإيمان بالقرآن، ولو كان الكمُّ قليلًا.**

١١ ـ تحسن أحوال الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات، **حيث يعمل البرنامج على إشراك الجميع في العملية التعليمية التدبرية التربوية.**

١٢ ـ تعميق صلة أطفال المسلمين **بمنهج النبي** ﷺ وأصحابه في تعلم القرآن وتعليمه.

١٣ ـ محاصرة ظاهرة **الانفصام الفج بين العلم والعمل والحد منها.**

١٤ ـ تصحيح مفهوم أهل القرآن، **وكل المصطلحات التي تصف العلاقة السديدة بالقرآن منذ الصغر، مما يسهم في استقامة السلوك مع القرآن.**

١٥ ـ تحقيق الإيمان الكامل بالقرآن، **حيث يضع البرنامج الإيمان بالقرآن في قالب تطبيقي سهل.**

١٦ ـ تحقق خيرات القرآن الكاملة، وبركاته الفاضلة **في حياة أطفالنا.**

١٧ ـ زيادة نسبة الموهوبين كمًّا وكيفًا، **وخصوصًا مع تفعيل برامج مصاحبة لاكتشاف المواهب ورعايتها.**

المبحث الثاني

مراحل تخطيط البرنامج

المرحلة الأولى (تجميع المادة العلمية):

باستقراء نصوص الوحيين الشريفين، وتحرِّي أحوال السلف ﷺ؛ للوقوف على منهجهم في الطريقة الأمثل لتعليم الأطفال القرآن الكريم، انتهيت ـ بفضل الله ـ إلى أنَّ أفضل المناهج هو ما وصفه الصحابة ﷺ بقولهم: «**الإيمان قبل القرآن**»، والذي يفيد أنَّ الصحابةَ؛ كبارهم وأطفالهم؛ تعلَّمُوا معاني الإيمان وتفهموها وتدبروها، ثم استظهروها وضبطوها حفظَ روايةٍ.

وقد استفدتُ كثيرًا من الاطِّلاع على بعض الدراسات الشرعية، والدراسات التربوية والنفسية والطبية؛ التي تتناول القدرات العقلية للأطفال، وفسيولوجيا الفهم والحفظ والتطبيق ونموّ المفاهيم العلمية للأطفال.

المرحلة الثانية (تصميم البرنامج):

وفيها حرَصْتُ على تصميم برنامجٍ يحقق غايةَ تعليم الأطفال القرآنَ

وَفق المنهج النبوي: (الإيمان قبل القرآن) بطريقة منهجيَّةٍ عمليَّة مُيسَّرة على أن يشمل البرنامج كلَّ حقوق القرآن من تفهُّم وتدبُّر واتِّباع وضبطٍ وحفظٍ... وغيرها من خلال ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة **الإيمان** (الفهم والتدبر والعمل).

والثانية: مرحلة **القرآن** (القراءة والضبط وحفظ الرواية).

والثالثة: مرحلة **التعاهد** والمتابعة والتقويم (لمرحلتي الإيمان والقرآن).

وتأتي المرحلة الأولى (مرحلة الإيمان) في عشر خطوات مُرتَّبةٍ؛ هي: الفهم بالأنماط، واستخراج الوصايا العملية، والإسقاط، والتأمُّل في الثمرات، والتفكُّر في المغبات، والدعوات والتنزيهات المناسبة، والأسماء والصفات، وذكر أهل الآية أو السورة، وخطوة المخرجات الوجدانية، والخطة التشغيلية.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ التدبُّر يلقَّن للأطفال في هذه المرحلة بطريقة تفاعلية، ثم تليها ـ إن شاء الله ـ مرحلة الاحتراف؛ حيث يتمكَّن الطفل من فعل ذلك بمفرده.

ومرحلة التلقين، تختلف حسب سن كل طفل ومستوى تفاعله ومستوى تعليمه؛ وفيها يتم التركيز على الجهد التدبري المبذول في حلقة التدبر؛ حيث يحضر المعلم أو المعلمة الآيات محل التدبر، ولايكلف الطفل بالتدبر الشخصي بالمنزل أو إعداد (ورقة العمل)، بل نجتهد في تلقينه التدبر من خلال الحلقة، **وليس** معنى ذلك أن الطفل لن يشارك في استخراج الوصايا العملية أو التفكر أو التفاعل داخل حلقة

التدبر، بل المقصود أن يحصل التدبر والاتباع والذي يتم في هذه المرحلة بمعونة المعلم أو المعلمة؛ كالذي يحدث عندما نعلم القرآن الطفل للوهلة الأولى نلقنه الآيات مجودة ثم بعد ذلك يتمكن الطفل من تجويد الآيات بنفسه.

يقول الدكتور عدنان باحارث: «التلقين في الطفولة المبكرة له أهميته أيضًا»، فإن (التعليم الديني الذي يتلقاه الطفل في السنوات المبكرة، يترك بصمته على عقليته في الطفولة المتأخرة، حيث تتكون عنده مفاهيم تكون أكثر وضوحًا مع تقدمه في السن، وبهذا يستطيع أن يفهم النظريات المجردة على نحو أفضل) لهذا كان السلف رضوان الله عليهم يبدأون في تلقين أولادهم أساسيات الدين في الطفولة المبكرة»[(١)].

أما مرحلة الاحتراف: ففيها تتمكن لدى الطفل مهارة التدبر، ويستطيع في هذه المرحلة التدبر بنفسه دون مساعدة من أحد ويتمكن من القيام بحقوق السورة أو الآية كاملة، ويصل إلى درجة من الاحترافية تمكنه من تعليم التدبر لغيره والدعوة إليه. ويتباين أيضًا وصول الأطفال إلى هذه المرحلة.

وبعد تصميم البرنامج، تم عمل استبانة واستطلاع رأي خمسمائة فردٍ من المعنيين والمعنيات بتعليم الأطفال القرآن الكريم؛ لمعرفة إمكانية تطبيق هذا البرنامج على الأطفال، وإمكانية تطبيق كل جزئيَّةٍ من جزئياته على حدة، والسنِّ المناسبة لذلك مع تنقيح ما أوصى به

(١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد (ص: ٣٣٨).

المختصُّون، وأشاروا بإضافته أو تعديله، فكان الاستقرار على الصورة المبدئية للبرنامج.

وفيما يأتي وصفٌ تفصيليٌّ للاستبانة التي أجريناها في هذه المرحلة:

أوَّلًا: هدف الاستبانة: أخذ **مؤشرات أولية** عن إمكانية تدريس التدبر بخطواته وممهداته ومعززاته للصغار، ودور التدبر في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به لدى الصغار.

ثانيًا: أداة الاستبانة: استبانة **ورقية** تحتوي على أسئلة (مغلقة) يُجاب عنها كتابةً، هذا وقد سُجِّل ثلاثون استبانة **شفوية** بالأسئلة نفسها.

ثالثًا: الشروط الواجب تحقُّقها في المستطلَع رأيُه: أن يكون ممن **مارس التحفيظَ للأطفال** (ولو لطفلٍ واحد) فوق سنِّ خمس سنوات، وأمضى في ذلك ما لا يقل عن شهرين.

رابعًا: عدد أفراد مجتمع الاستبانة وأماكنهم: ٥٠٠ معلم ومعلمة تتوافر فيهم الشروط (٤٧٠ من النساء، ٣٠ من الرجال) من مناطق مختلفة بمصر (بني سويف ـ المنوفية ـ الأسكندرية ـ المنيا ـ البحيرة).

خامسًا: مصطلحات الاستبانة:

التدبر: ونقصد به إجرائيًّا **عملية مركبة** من فهم الآيات، وتحديد الوصية الرئيسية فيها، وإسقاطها على النفس لتقويم الحاجة إليها ومدى تطبيقها، والتأمُّل في ثمرات الاستجابة لها، ومغبات التقصير في الاستجابة لها، والتفاعل مع الآية بالمواظبة على دعاء يناسب مضمونها ويعين على تطبيق وصاياها، ثم صياغة خطة تشغيلية تتضمن ربطًا للآية

بالواقع، وتحديدًا لأهم وسائل تطبيقها، مع تحديد للأسماء والصفات التي تجلَّت في الآية، والتعبير عن الشعور الذي وجده الطفل وأحسَّه بعد تدبر الآية.

حفظ القرآن: ونقصد به حفظ الرواية (الألفاظ)، وحفظ الدراية (المعاني)، وحفظ الرعاية (العمل والاتباع).

تعلم القرآن: ونقصد به تعلُّم المباني (الألفاظ) والمعاني والعمل المتعلق بالآية.

الصغار: مَن هم فوق سن ست سنوات.

سادسًا: أسئلة الاستبانة:

خُصِّص الجزء الأول منها، لتحصيل معلومات عن المعلم أو المعلمة، وشملت: المدة التي قضاها في تعليم الأطفال القرآن، العدد الذي قام بتعليمه من الأطفال، ماقام بدراسته فيما يتعلق بالتدبر، دراسة مشروع (القرآن علم وعمل)، تطبيق مشروع (القرآن علم وعمل) على المستوى الشخصي، مفهوم التدبر لديه، مفهوم الغرض من التدبر لدى المعلم، قيامه بتدريس التدبر للصغار قبل ذلك.

أما الجزء الثاني فكان لمتغيرات الاستبانة، والتي شملت: إمكانية تدريس التدبر للصغار فوق سن ست سنوات، وتأثير تعليم الأطفال (فضل القرآن وما يقدمه لنا) في الحفظ والعمل، وتأثير تعليم الأطفال (مراد الله منا فيما يتعلق بالقرآن) في الحفظ والعمل، وتأثير تعليم الأطفال (حقوق القرآن وواجباتنا تجاهه) في الحفظ والعمل، وإسهام فهم الطفل للآية في تيسير حفظه لها عليه، وإسهام فهم الطفل للآية في

تجويد حفظه للآية، وإسهام فهم الطفل للآية في تيسير العمل بها، وإسهام إسقاط الآية على واقع الطفل في تيسير حفظه لها عليه، وإسهام إسقاط الآية على واقع الطفل في تجويد حفظه للآية، وإسهام إسقاط الآية على واقع الطفل في تيسير العمل بها، وإسهام تعليم الطفل ثمرات تطبيق الآية في تيسير حفظه لها عليه، وإسهام تعليم الطفل ثمرات تطبيق الآية في تجويد حفظه للآية، وإسهام تعليم الطفل ثمرات تطبيق الآية في تيسير العمل بها، وإسهام تعليم الطفل مغبات التفريط في تطبيق الآية في تيسير حفظه لها، وإسهام تعليم الطفل مغبات التفريط في تطبيق الآية في تجويد حفظه لها، وإسهام تعليم الطفل مغبات التفريط في تطبيق الآية في تيسير العمل بها، وإسهام تعليم الطفل الدعوات المعينة على تطبيق الآية في تيسير حفظه لها، وإسهام تعليم الطفل الدعوات المعينة على تطبيق الآية في تجويد حفظه لها، وإسهام تعليم الطفل الدعوات المعينة على تطبيق الآية في تيسير العمل بها، وإمكانية أن يزيد التدبر الأطفال ارتباطًا بالأسماء الحسنى ومعرفة بها، وإسهام الخطة التشغيلية لاتباع وصية الآية في تيسير حفظه لها عليه، وإسهام الخطة التشغيلية لاتباع وصية الآية في تجويد حفظه للآية، وإسهام الخطة التشغيلية لاتباع وصية الآية في تيسير العمل بها، وإسهام معرفة الطفل بنماذج طبقت الآية في تيسير حفظه لها عليه، وإسهام معرفة الطفل بنماذج طبقت الآية في تجويد حفظه للآية، وإسهام معرفة الطفل بنماذج طبقت الآية في تيسير العمل بها، وإمكانية أن يحرك التدبر وجدان الطفل، وأثر تحرك وجدان الطفل مع الآية في تيسير حفظه لها عليه، وأثر تحرك وجدان الطفل في تجويد حفظه للآية، وأثر تحرك

وجدان الطفل مع الآية في تيسير العمل بها، وإسهام التدبر في تنمية التفكير والقدرات العقلية لدى الصغار، وإسهام التدبر في تعميق وتسديد فهم الصغار للآيات، وإمكانية أن يزيد التدبر من إقبال الأطفال على الحفظ، وإمكانية أن يزيد التدبر من انتباه الأطفال وتفاعلهم في حصة القرآن (الإلحاق رقم ١).

سابعًا: نتائج الاستبانة:

رغم أن الوقت لم يسمح بإحصاء عالي الدقة للنتائج وتحليل عميق لها؛ فإنَّ النتائج الأولية كانت **مبشرة وإيجابية للغاية، فقد أشار ما يزيد عن ٩٥٪ من المستطلَعة آراؤهم إلى** إمكانية تدريس التدبر للصغار فوق ٦ سنوات، وإلى أن التدبر يسهم في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به، ويحل العديد من المشاكل المتعلقة بالتعليم القرآني (الإلحاقان ٢، ٣).

وقد لوحظ أن بعض عوامل التباين بين مجتمع الاستبانة، كخبرة المستطلعِ رأيُه في التعليم القرآني، ومعرفته السابقة بالتدبر ـ لا سيما من خلال مشروع القرآن علم وعمل ـ ورؤيته التربوية للعملية التعليمية = قد أسهمت في اختلاف نتائج الاستبانة بين مجتمع الدراسة، وإلى تلك الأسباب نعزو نسبة الخمسة بالمئة السلبية (الإلحاقان ٤، ٥).

المرحلة الثالثة: (مرحلة التجريب):

مع الاستقرار على الصيغة النَّظريَّة المقترحة للبرنامج طُبِّقَ على عددٍ من الأطفال تتراوح أعمارهم بين السنة السادسة والثامنة؛ للوقوفِ على ما ستظهره التجربة العملية ممَّا يحتاج إلى التعديل والتطوير، ومن ثَمَّ

الاستقرار على الصيغة النهائية، وفي ضوء تلك الصيغة النهائية قمنا بعمل دورة تدريبية مكثفة للتعريف بالبرنامج وتدريب المعلمات عليه، وقد تجاوز الحاضراتُ خمسين معلمةً، اختير منهنَّ عشر معلمات للبدء في تطبيق النسخة التجريبية للمشروع.

وقد قامت المعلِّمات المختارات بتطبيق البرنامج على خمسة أطفال لكلِّ معلمة، فكان عدد الأطفال الذين استوفت تجربتهم كمالَها قرابة خمسين طفلًا تتراوح أعمارهم بين ستة وثمانية أعوام (متوسط ٦+/ ـ ٣،.).

ثم قمنا برصد تلك النتائج، والتي أفرزت في مجموعها أنَّ تعليم القرآن بالتدبر، قد أدى إلى تيسير وتحسين تعلُّم القرآن والعمل به لدى الأطفال.

المرحلة الرابعة (مرحلة التشغيل):

بعد تحليل نتائج التجربة، ودراسة تقارير المعلِّمات والمشرفات اللاتي باشرنَ العمل بها، نعكف الآن على تطوير النسخة التجريبيّة من البرنامج، ثمَّ نقوم بالترتيب لتطبيق المشروع تطبيقًا ميدانيًّا أوسعَ؛ إذ إنَّ مرحلة التجريبِ ـ مهما كانت نتائجها ـ لا تكفي لتوصيفِ الواقع بدقَّة، ولا يخفى أنَّ التجربة ـ مهما كانت دقَّتها ـ تظلُّ مقيَّدةً بظروفها.

المرحلة الخامسة (مرحلة التطوير):

فهي للتقويم وإعداد دراسات أوسع نطاقًا وأكثر دقَّة وإحكامًا، ولا يخفى أن التقويم الشامل والتطوير المستمرّ وتحسين الأداء الدائم سُنَّةُ

كلِّ عمل ناجحٍ، فلا يُظنُّ أنَّ التطوير كان عملًا مرحليًّا ينقضي بانقضاء مرحلته والانتقال إلى المرحلة التي تليها.

المرحلة السادسة: (مرحلة الانتشار والتعميم):

وفيها تكون مخرجات البرنامج ومنتجاته قد بلغت درجة من النُّضج تناسب الانطلاق به وتعميمه على النِّطاق العالميِّ المنشود.

المرحلة السابعة (مرحلة الإبداع والتميُّز):

وفيها يتم تشغيل المشروعات المصاحبة، وقد تكون هذه المرحلة مصاحبةً زمنيًّا للمرحلتين السابقتين، وفيها نطمح للعمل على مشروعاتٍ معضِّدة ومكملة لمشروع المتدبِّر الصغير، ومن أهمِّها مشروع: اكتشاف المواهب ورعايتها، وبرامج للأسماء الحسنى والسنة وغيرها.

ويُمكن القولُ: إنَّنا قد انتهينا من المرحلة الثالثةِ بنهايةِ التجربة التي بين أيدينا، ونتأهَّب لبدء المرحلة الرابعة بإذن الله.

المبحث الثالث

الدراسة التجريبيَّة

المطلب الأوَّل: وصف الطريقة الإجرائية للدراسة:

١ ـ عُقدَتْ **دورة تدريبية مكثفة** لقرابة خمسين معلمة حول برنامج المتدبر الصغير والنسخة التجريبية منه، ثم **اختيرت عشر معلمات** قمن بدراسة مشروع (القرآن علم وعمل) أو التعرف عليه من قبل، **وتسلَّمنَ المواد العلمية** للنسخة التجريبية للبرنامج وملفات المتابعة الخاصة بهنَّ وبالطفل وبالأهل (إلحاق ٦).

٢ ـ أُعطيَ المعلمات مدة أسبوعين ليقمن فيها **بتطبيق النسخة التجريبية** للبرنامج والمتابعة، وكلِّفت كلُّ معلمة باختيار **خمسة أولاد** يتراوح عمرهن بين ٦، ٨ سنوات بالاتفاق مع ذويهم (إلحاق ٧).

٣ ـ كلِّف المعلِّمات **بتدبُّر الآية الثانية من تبارك أولًا**؛ من خلال مادة علمية تم إعدادها خصيصًا لهن (إلحاق ٨).

٤ ـ أُعدَّ **أنموذج تدبريّ مناسب للأطفال** يتناول الآية الثانية من سورة تبارك، وتم تقسيم العمل فيه على الآية إلى ثلاث مراحل: الأولى: مرحلة الإيمان (الفهم والتدبر والعمل)، واشتملت على عشر

خطوات، والثانية: مرحلة القرآن (القراءة والضبط وحفظ الرواية)، والثالثة: مرحلة التعاهد (لكلٍ من الإيمان والقرآن). **ودُرِّبت المعلمات عليه جيدًا** من خلال خريطة ذهنية مختصرة، وعرض باوربوينت ليكون مرجعًا لهن. (الإلحاقات من ٩ إلى ١١).

٥ ـ **قُسِّمت الحصص** الدراسية للنسخة التجريبية إلى **ست حصص**، مدة الحصَّة **ساعة** واحدة، ورُوعيَ أن يكون الوقت كافيًا؛ لئلَّا يمثل ضيق الوقت ضغطًا على المعلمات، لا سيما وهنَّ في مرحلة بناء المهارة.

٦ ـ أُعدَّ **ملف (متابعة وتقويم) للمعلمات**: به **استبانة** للتعارف مع المعلمة حول مؤهلاتها وخبراتها، ثم **خطة عمل** لكل حصة من الحصص في صورة أسئلة، ثم استبانة حول البرنامج بعد تطبيقه، ثم استبانة حول النتائج بعد تطبيق البرنامج (إلحاق ١٢).

٧ ـ أُكِّد على المعلمات أننا ما زلنا في **مرحلة التلقين وبناء المهارة** لدى الطفل، وأن من الضروري **استخدام الوسائل التعليمية وطرق التدريس المتنوعة**، كالعصف الذهني، والتعليم الجماعي التعاوني، واستخدام العاطفة والوجدان، ومراعاة الذكاءات المتعددة وأنماط التعلم المختلفة، كما أُعلمنَ أنَّ من الضروري الحفاظ على **نقاء المنهج الفكريِّ والعقديِّ والسلوكيِّ** للطفل، وأن **صياغة العقل الباطن** للطفل أمر لا ينبغي إغفاله، وأننا ينبغي أن نربي الأطفال من خلال الآيات على **منهجيات** تُسْهِم في بناء صرح الإيمان في حياتهم.

٨ ـ قامت المعلمات في **الحصة الأولى بتمهيد معرفيٍّ للبرنامج** من

خلال شرح مختصر لأربعة أمور: الأول: دور القرآن في حياتنا وأهميته بالنسبة لنا (رحلة اكتشاف ما يقدمه لنا القرآن)، والثاني: مراد الله منا فيما يتعلق بالقرآن وما ينبغي أن تكون عليه طبيعة علاقتنا به (رحلة البحث عن أهل القرآن)، والثالث: حقوق القرآن علينا، والرابع: معنى التدبر وما سيتم عرضه في برنامج المتدبر الصغير. واستخدمت المعلمات الصور والخرائط الذهنية التي أُعدَّت لهنَّ مسبقًا (الإلحاقات من ١٣ إلى ١٦).

٩ ـ قامت المعلمات في **الحصة الثانية بالبدء في الخطوتين الأولى: (الفهم بالأنماط)، والثانية: (استخراج الوصايا العملية)** من مرحلة (الإيمان)، فقامت كل معلمة باستخدام العصف الذهني، وقصة تدبرية تم إعدادها لتفهيم الوصية الرئيسية للآية وما يتعلق بها من ثمرات ومغبات وربط كل ذلك بالواقع، كما قامت المعلمات بعد عرض القصة بطرح أسئلة على الأطفال حولها؛ للحصول على تغذية راجعة حول فهم الأطفال للقصة وحسن استيعابهم لها. استخدمت المعلمات وسائل أخرى لتمكين التفهيم، كشرح كلمات الآية كلمة كلمة باستخدام الصور المعبرة، وعقد مسابقة بين الأطفال في داخل الحصة تتناول الوصية الرئيسية بالآية، وإقامة أنشطة كتابة وتلوين وغيرها تتناول الوصية الرئيسية للآية ومضمونها، بعد ذلك قامت المعلمات بسؤال الأطفال عما ينوون فعله بعد فهمهم للآية (استخراج الوصايا العملية).

١٠ ـ **وفي الحصة الثالثة**، قامت المعلمات **بإسقاط الآية** على واقع الأطفال؛ لتعينهم على تقييم حالهم فيما يتعلق باتباع الوصية، وتشعرهم بأهمية الوصية بالنسبة لهم وحاجتهم إليها، وتبين لهم أن القرآن كتاب

ينبض بالحياة، ويمس كل جوانبها، ثم قامت المعلمة بمناقشة **العواقب الحسنة** (الثمرات) لاتباع ما أوصت به الآية والتفكر فيها مع الأطفال؛ لتزيد من دافعيتهم لاتباع ما أوصت به الآية وتحفزهم على تطبيقها، إنها مسألة أشبه ما تكون «**بالترغيب**»، وآخر يُناقَش في هذه الحصة هو العواقب السيئة (المغبات) للتفريط في اتباع الوصية م ـ ع التفكر فيها، وهو نوعٌ من الترهيب، والمعلمة في كل ذلك تستخدم القصة التدبرية التي استخدمتها في تفهيم الآية في مساعدة الأطفال على التفكر في الثمرات والمغبات، وتشفع كل ثمرة وكل مغبة بما يشهد لها من نصوص الوحي؛ لأن نصوص الوحي روح وحياة وشفاء، ولنرسخ في العقل الباطن للطفل أنَّ القرآن قد دعا لكل شيء جميل ورغَّب فيه، وحذر من كلِّ شيءٍ قبيحٍ ونفَّر منه.

١١ ـ في **الحصة الرابعة**، قامت المعلمات بسؤال الأطفال عن **الدعاء الذي يناسب الوصية الرئيسية للآية** والذي يمكننا استخدامه ليساعدنا على اتباع ما أوصت به الآية، وعَرَّجَت المعلمات سريعًا على أهمية الدعاء بالنسبة للمسلم ودوره في إعانته على تحقيق مطلوباته، ثم أخبرت المعلمات الأطفال بالدعاء المناسب، وقامت بشرحه بإيجاز لهن، وكان من الضروري أن تحدث المعلمة الأطفال عن **نماذج عملية** لمن اتبعوا ماجاء في هذه الآية (**أهل الآية**)، فقامت بذكر أنموذج من حياة النبي ﷺ ثم من حياة يوسف ﷺ؛ ليشعر الأطفال أن ماتوصي به الآيات قابل للتطبيق، وتزداد مساحة تعظيم واتباع النبي ﷺ وإخوانه من الأنبياء في حياتهم. وفي آخر هذه الحصة قامت المعلمة بمناقشة الأطفال حول ماجاء في هذه الآية من **أسماء وصفات الله أو من**

آثارهما؛ لتزيد رقعة معرفة الله والإيمان به من خلال الآيات، ويتحقق المقصود الأول من إنزال القرآن لدى الأطفال، ويتوفر لدى الأطفال حافز جديد على اتباع ما أوصت به الآية.

١٢ ـ أما **الحصة الخامسة**، فقد قامت المعلمات فيها بإتاحة المجال للأطفال؛ ليعبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم فيما يتعلق بالآية بعد دراستها، واستمعت المعلمات باهتمام وإنصات **للمخرجات الوجدانية** للعلملية التدبرية، ثم قامت المعلمات بطرح مشكلة على الأطفال وطالبتهم بالتفكير في وضع الحلول لها، وتتلخص تلك المشكلة في «كيف يمكننا تحويل ما أوصت به الآية إلى أعمالٍ يمكن قياسها وتقويمها؟ ما الوسائل التي تعيننا على اتباع ما أوصت به الآية؟» وهو ما نسميه «**بالخطة التشغيلية**» وهي آخر خطوات مرحلة «الإيمان»، وقامت المعلمات بصياغة الخطة التشغيلية في صورة **جدول متابعة (تعاهد)**، وقامت بشرح هذا الجدول للأطفال، وإخبارهم أنه سيتم **عقد مسابقة** في هذا الجدول وتوزيع جوائز تبعًا لذلك.

١٣ ـ وفي **الحصة السادسة** والأخيرة، بدأت **مرحلة** «**القرآن**»، فقامت المعلمات بضبط الآية وتحفيظها للأطفال، كما قامت المعلمات بتحفيظ الأطفال الآية الثالثة من تبارك بالطريقة التقليدية، لتتم **المقارنة** بينها وبين الآية الثانية مَحِلِّ التدبر، وفي نهاية تلك الحصة، قامت المعلِّمات بتسليم جداول المتابعة الأسبوعية **الخاصة بالأهل** للأطفال؛ لإيصالها للأهل، وتم الاتصال بالأهل وإخبارهم أن **مرحلة المتابعة والتعاهد** «للإيمان والقرآن» قد بدأت، وتم التأكيد على الأهل في أن

يكون الطفل هو من يكتب في جدوله؛ ليتعلم **المسئولية** عن أفعاله ومحاسبة نفسه لكن تحت إشراف الأهل (إلحاق ١٧).

١٤ ـ تضمنت «**متابعة الإيمان**» رصد انتظام الطفل في آداء مجموعة من الأعمال تم الاتفاق عليها وتضمينها الجدول، أما «**متابعة القرآن**» فكانت بقياس ومقارنة معدل إتقان الطفل لحفظ الآيتين الثانية والثالثة من تبارك بعد يومين وبعد ثلاثة أيام وبعد أسبوع.

١٥ ـ قامت المعلمات بمتابعة الطفل من خلال **جدول متابعة** خاص بهن، مماثل للجدول الذي سُلِّم للأهل؛ لإشعار الطفل بأهمية الأمر، ولرصد أي خلل سلوكي (إلحاق ١٨).

١٦ ـ قامت المعلمات بعد أسبوع **بتلقي جداول المتابعة** الخاصة بالأطفال من الأهل، و**تلقي ردود أفعالهم وتعليقاتهم** فيما يتعلق بالتغيرات السلوكية التي طرأت على الطفل من خلال انتظامه في البرنامج.

١٧ ـ قامت المعلمات **بإبداء رأيهن في البرنامج** من خلال الاستبيان الذي تم إعداده بملف (المتابعة والتقويم) الخاص بهن، كما قمن بتسجيل النتائج والإجابة على الاستبانة بعد تدريسهن للبرنامج.

١٨ ـ قمنا بتلقي ما أفرزت عنه النسخة التجريبية للبرنامج من نتائج، وعمل إحصاء أولي لها. مقارنةً بنتائج الحفظ بالطريقة التقليديَّة: قراءة الآيات للأطفال بعد كتابتها على السبورة، ثمَّ ترديد الآيات جماعيًّا ثلاث مرَّات، ثمَّ عرض الأطفال النصَّ (اللوح) على المعلمة كلٌّ على حدة، ونعني بالحفظ التقليدي ذلك الحفظ الذي يهتمُّ بحفظ الرواية

فحسب دون التعريج ـ من قريبٍ أو بعيد ـ على حفظ الدراية (فهم الألفاظ والمعاني)، أو حفظ الرعاية (العمل والتطبيق).

المطلب الثاني: نتائج الدراسة:

١ ـ كان معدل **ضبط وإتقان** الخمسين طفلًا للآية التي تم تعليمها بالتدبر (الملك: ٢) أكبر من معدل إتقانهم للآية التي تم تعليمها بالطريقة التقليدية (الملك: ٣).

٢ ـ تميز **إتقان الأطفال للآية** التي تم تعليمها بالتدبر (الملك: ٢) **بالثبات** طوال الأسبوع الأول الذي تلي تعليم الآية بل بعد أسبوعين وبعد شهرين في بعض العينات العشوائية. أما الآية الأخرى (الملك: ٣) فقد تناقص معدل ضبطها وإتقانها تدريجيًّا.

٣ ـ أكد أغلب المعلمات أنهن **لم يجدن صعوبة في تحفيظ الأولاد الآية (الملك: ٢)**، بل وجدن أنَّ معظم الأطفال كانوا قد حفظوا الآية بالفعل قبل تحفيظها لهم. أما الآية (الملك: ٣) فقد وجدن صعوبة في تحفيظها للأطفال بالطريقة التقليدية. تقول إحدى المعلمات: «بعد أن فرغت من تعليم الأطفال الآية الثانية من تبارك بالتدبر، حتى وجدتهم قد حفظوها، ولم أجد أدنى مشقة في تسميعها لهم، بل وجدت مشقة في تحفيظهم الآية التي بعدها بالطريقة التقليدية».

٤ ـ كان معدل **انتظام الأطفال** فيما تم متابعتهم فيه من الأعمال كتفاعل عملي مع ما أوصت به الآية (الإيمان) أكثر من ٩٠٪.

٥ ـ أكد معظم المعلمات أن الأطفال قد **أبدوا من المهارات والتفاعل قدرًا أكبر بكثير جدًّا مما كنَّ يتوقعنَ منهم**، بل إنَّ بعض

المعلمات أكدت أن استيعاب الأطفال لخطوات البرنامج ومصطلحاته كان أكبر من استيعاب الكبار له حين دَرَّسَت لهن مشروع القرآن (علم وعمل).

٦ ـ زادت مساحة **حب القرآن والإقبال على تعلمه** عند معظم الأطفال تقريبًا، فقد كان معدل التفلُّت من البرنامج أقل من ٢٪ ولأسباب لا تخص البرنامج، بل إنَّ بعض المعلمات ذكرت أن ثلاثة من الأطفال الخمسة التي قامت بتطبيق البرنامج عليهم، كان أهلهم يشتكون من ضعف إقبالهم على الكُتَّاب وحلقات التحفيظ؛ فزاد إقبالهم بشكل ملحوظ بعد البرنامج حتى صاروا يطالبون بالبرنامج لما توقف لأسبوع، وتقول بعض المعلمات: «توقفت عن تعليم الأطفال القرآن بالتدبر، وبدأت في تعليمهم أمورًا فقهية ونحوها، فوجدت الأطفال يسألونني (متى سنتعلم القرآن كما كنا نفعل سابقًا يا معلمة؟)»، وطفل آخر يقول للمعلمة: «بالله عليكِ لاتقطعي عنا التدبر مرة أخرى».

٧ ـ وجد غالب المعلمات أن معظم الأطفال، قد تمكنوا من **استخراج الوصية العملية الرئيسية** للآية، بعبارات متباينة تؤول جميعًا إلى العبارة المطلوبة.

٨ ـ لقد زاد البرنامج من **سعادة الأولاد**، فأحدهم بعد دراسته للآية بالتدبر، سألته المعلمة عما شعر به، فقال: «أشعر أنني سعيد جدًّا جدًّا جدًّا».

٩ ـ كما زاد البرنامج من **مساحة محبة الله وتعظيمه في قلوب الأولاد**، فبعضهم لما سألته المعلمة عن شعوره بعد دراسة الآية

بالتدبر، قال: «بقيت بحب ربنا قوي قوي». وتقول إحدى الأمهات: «لقد تغير صغيري بعد تدبره للآية الثانية من سورة تبارك، فأضحى يستغفر الله، ويعتذر سريعًا بعد كل مرة يخطئ فيها، ويقول: (ما فعلته لم يكن العمل الأحسن، فينبغي أن أستغفر وأعتذر، وما دام أن الله غفور فلابد أن نستغفره حين نخطئ)».

١٠ ـ لاحظت المعلمات أيضًا قدرة الأطفال على **تحويل ما فهموه من الآية إلى أهداف بل ومشروعات**، كما لاحظت المعلمات أنَّ الأطفال قد تمكنوا تقريبًا من ذكر **الثمرات والمغبات** المتعلقة بالوصية الرئيسية للآية قبل إخبارهم بها.

١١ ـ لقد أثمر البرنامج أثرًا كبيرًا في **نفوس المعلمات وسلوكهنَّ** أنفسهن كما عبَّرنَ عن ذلك.

١٢ ـ أما الأهل فقد لمسوا أثر البرنامج على أولادهم في زيادة حماستهم لتعلُّم القرآن، بل بعض الأمهات طلبن أن ينتظمن هن شخصيًّا في برامج تدبرية وتعليمية للكبار، واتَّصلت إحدى الأمهات بالمعلمة تشكرها، وتبين لها أنها لم تكن تنتظم في الصلاة، فكانت متابعتها لصغيرها في برنامج المتدبر الصغير سببًا في انتظامها في الصلاة.

١٣ ـ لقد ترك التدبر **أثرًا وجدانيًّا** كبيرًا في حياة الأطفال، وزادهم قدرة على **ربط القرآن بالواقع**، فالطفلة (خ) عمرها ست سنوات، تعلمت في برنامج المتدبر الصغير آية من كتاب الله بالتدبر، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾

[الملك: ٢]، وكان مما علمتها إياه المعلمة أن الحياة اختبار، مر على ذلك حوالي أسبوعين، توفي جد الطفلة، ذات يوم فوجئت الأم بالطفلة تنظر إلى صورة جدها التي في حافظة نقود الأم وتقول لها: «أليس اختبار جدي قد انتهى بموته؟» (هو كده جدو اختباره انتهى؟)، فقالت لها الأم وهي مشدوهة: نعم يا حبيبتي، ظلت الطفلة تنظر إلى صورة جدها وهي متأثرة حوالي ثلاث دقائق ثم أجهشت بالبكاء، وقالت: «لكن هل ياترى جدي قد انتهى اختباره وهو الأحسن عملًا أم لا؟» (بس ياترى جدو انتهى اختباره وكان الأحسن عملًا ولا لأ؟). ذلك هو تعليم القرآن الذي نريد، ذلك التعليم الذي يجعل الطفل ينطلق في رؤيته لكل شيء في الحياة من القرآن، ويسقطه على كل شيء في حياته، ويربطه بما يمر من حوله، ويسدد به مسار حياته منذ نعومة أظافره، ذلك التعليم الذي يؤثر في وجدان الطفل وسلوكه ويزيد مساحة إدراكه وتفاعله مع حقائق الحياة الكبرى، حُقَّ لنا نحن أن نبكي يا صغيرتي! فما دمنا تعلمنا ورأينا وما أسقطنا أو ربطنا أو رفعنا بذلك رأسًا.

تنبيه: ورغم أن التجربة تفتقر لدقة إحصائية أكبر، وتصميم أكثر إحكامًا، لكن **ما افتقرت إليه ما كان ليؤثر على الفكرة الرئيسية وإيجابية النتائج**، لا سيما مع الأثر الكبير نظريًّا وواقعيًّا للبرنامج على الأطفال مَحِل الدراسة، ورغم ذلك فإننا **نُعِد لدراسة موسعة**، أكثر إحكاما من ناحية التصميم، وأكثر دقة من الناحية الإحصائية والمعاييرية، لتكون عونًا لنا على التطوير في هذا الشأن.

المطلب الثالث: مناقشة النتائج وتفسيرها من زاوية تربوية تعليمية نفسية:

يُعَدُّ التعلم الوسيلة الوحيدة لتنمية الشخصية بمختلف جوانبها، وحاجاتها النفسية والجسمية والسلوكية[(١)]، وهو مفهوم نفسيٌّ يحدث نتيجة تغيرات في البناء الإدراكي للفرد، ويُستدلُّ على وجوده عادة بمؤشرات سلوكية ملاحظة للعيان في الحياة المدرسية أو الاجتماعية... ويحدث التعلم بتعرض الفرد لخبرات حسية في البيئة المحيطة، حيث تنتقل الإحساسات المرئية أو السمعية أو اللمسية أو الذوقية أو الشمية أو النفسية عبر الجهاز العصبي الثانوي الموصل للدماغ، فتستقبله خلية أو مجموعة خلوية متكونًا من إثارتها العصبية الإدراك ثم التعلم المطلوب[(٢)]. **ويمكننا عزو النتائج الإيجابية لبرنامج المتدبر الصغير في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به على الخصوص لدى الأطفال إلى أمور؛ نذكر منها:**

١ ـ إلزام القائمين على البرنامج للمعلمات بتطبيق مشروع (القرآن علم وعمل) على أنفسهنَّ أولًا، وعدم السماح لهن بتدريس آيات لم يقمن بتدبرها شخصيًّا. إن علماء النفس والتربية يلزمون المعلم الذي يريد أن يطبق نظرية الذكاءات المتعددة على طلابه أن يطبقها على نفسه أولًا، فما بالكم بالتدبر، أليس أولى بذلك؟ جاء في كتاب الذكاءات المتعددة والفهم (ص: ٢٧): «ينبغي قبل أن نطبق أي نموذج للتعلم في بيئة حجرة الدراسة، أن نطبقه على أنفسنا كمربين وكراشدين متعلمين؛

(١) الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم، د.محمد زياد حمدان، (ص: ٣٤).
(٢) الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم، د.محمد زياد حمدان، (ص: ٣٢).

لأنه ما لم يتوافر لدينا فهم خبراتي للنظرية، فليس من المحتمل أن نلتزم باستخدامها مع التلاميذ».

٢ ـ **قيام المعلمات بتعليم الأولاد أثر القرآن في حياتهم**، وأهميته لهم زادهم إقبالًا عليه وحبًّا له، ورغبة في إكمال الانتفاع به، إذ إنَّ إقبال الإنسان على الشيء مرهون بإدراكه لأهميته له وأثره في حياته.

٣ ـ **قيام المعلمات بتعليم الأولاد ما ينبغي أن تكون عليه طبيعة علاقتهم بالقرآن** ومراد الله منهم فيما يتعلق به قد أَسهمَ في تسديد رؤيتهم، ووضوح غايتهم فيما يتعلق به، فأدرك الأطفال أهمية العمل بالقرآن وتفهمه وتدبره وحفظه على الوجه الأكمل.

٤ ـ **قيام المعلمات بتعليم الأولاد حقوق القرآن وواجباتنا تجاهه**، أسهم في زيادة إقبال الأولاد على القرآن، واتساع أفقهم فيما يتعلق بالتعامل به؛ حيث انتقل تعاملهم مع القرآن من كونه أمرًا لهم الخيار في فعله إلى كونه حقًّا لازمًا للقرآن عليهم.

٥ ـ حرص البرنامج على **تفهيم الطفل للآية وكل ما يتعلق بها**، حيث «يظل فهم الإنسان لما يقرؤه هو الهدف الرئيس للقراءة، ولا يستثنى الطفل من ذلك، ومن هنا فإن من المهم أن نتأكد من أن الطفل يفهم فعلًا مايقرأ»[(١)].

وحول أهمية الفهم ودوره في العملية التعليمية بل وفي كل قراءة، تقول مارجريت دونالدسون: «يجب أن يتضمن الإعداد للقراءة عنصرًا هامًّا جدًّا وهو محاولة جعل الأطفال أكثر انتباهًا للغة المنطوقة؛ ليس

(١) طفل يقرأ، د.عبد الكريم بكار (ص: ٢٣).

فقط لمساعدتهم على استخدام الكلام بفعالية أكثر وإنما لمساعدتهم على ملاحظة ماذا يفعلون»[(١)].

٦ ـ **استخدام البرنامج للقصة التدبرية في خطوة (التفهيم)** كان بمثابة تمهيد وتوطئة لما يلي بعده من خطوات كتدبر الآية وتعلمها والعمل بها، كما أسهم في تعميق فهم الأطفال لما توصي به الآية، وأسهم في تيسير تفهيم الأطفال جميعهم للمطلوب؛ لأنه من المعلوم أن القصة تناسب جميع الأنماط (البصري والسمعي والحسي)، «والطفل شغوف بسماع القصص وقراءتها، فهي وسيلة من وسائل الترفيه وجلب المتعة له، وقد أدرك القائمون على ثقافة الطفل ما للقصة من تأثير في نفس الطفل فاستخدموها لغرس القيم والاتجاهات المرغوبة في عقله ووجدانه، وبالإضافة للتسلية والتربية فهي تشبع فضوله وتغذي حواسه وتفتح له آفاق المعرفة، وتثري خبراته، وتمني خياله، مما يوسع مداركه ويجعله قادرًا على إدراك ما لا يمكن إدراكه بالحواس. فالقصة الناجحة سواءً الواقعية أو الخيالية تأخذ الطفل إلى عوالم مختلفة وتجعله يتفاعل مع بطل القصة ويخوض معاركه ويدخل إلى وجدانه، فيفرح لفرحه وقد يبكي لحزنه ويواجه المصاعب معه، ويشعر بلذة الانتصار في نهاية القصة. ومن خلال الأسلوب الفني الجميل للكلمة والصورة يكتسب خبرات التذوق الجمالي وينمو لديه الحس المرهف، وقد ركز كثير من النقاد والمختصين في علم النفس والتربية على دور القصة في تحقيق النمو المتكامل للطفل، فهي تنمِّي الذكاء اللغوي وتحسّن القدرة على

(١) عقول الأطفال، مارجريت دونالدسون، ترجمة عدنان الأحمد (ص: ١٦٠).

التذكُّر، وتشحذ العمليات العقلية: الملاحظة، التصور، المقارنة، التصنيف وغيرها، كما تساعد الطفل في اكتشاف ذاته، والتعرف على أحاسيسه والتغلب على مخاوفه، بل إنها تستخدم من قبل المعالجين النفسانيين في علاج بعض المشكلات النفسية التي يتعرض لها الأطفال، أما من الجانب الاجتماعي: فإن القصص تساعد الطفل على الاندماج في المجتمع عن طريق عرض نماذج لعلاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، وتعريفه بالأدوار الاجتماعية المختلفة لفئات المجتمع[(١)].

٧ ـ استخدام البرنامج للإسقاط الواقعي لما توصي به الآية على حياة الطفل قد زاد من استشعاره لأهميتها بالنسبة له وحاجته الماسة إليها؛ مما زاده إدراكًا لواقعه، ولضرورة الارتقاء به من خلال الآية.

٨ ـ إسقاط الآيات على واقع الأطفال، وربطها بالحياة ومظاهرها ومشكلاتها؛ قدَّم للطفل وجبة دسمة لتنمية قدرات التعلم والعمل لديه «فالدماغ يتميز بالرغبة في المعرفة... فهو يسعى دائمًا لكي يربط ما بين المعارف الجديدة وما هو معلوم لديه سابقًا، وعملية التعلم ما هي إلا بناء نشط يقوم به المتعلم وبالتعاون مع البيئة الغنية بالمؤثرات. ومن خلال عملية التعلم يكون البحث عن تفسيرات لما يحيط بالإنسان»[(٢)].

٩ ـ **استخدام البرنامج للربط الواقعي والتعليم من خلال الخبرات الحياتية**، حيث إنه «من المبادئ الهامة التي تركز عليها البرامج التربوية الحديثة التي تعد وتقدم بشكل خاص للأطفال الصغار التأكيد على أن

(١) ينظر: القصة في منهج رياض الأطفال بالمملكة العربية السعودية، الواقع والمأمول (ص: ٤).

(٢) في الطريق إلى تحول رئيسي، د. سمير حبيب مقلد (ص: ٨).

يتم تعليم الأطفال لمختلف المواد والأنشطة والمفاهيم والعمليات في مواقف حياتية طبيعية؛ بحيث يكون تعلمهم لهذه الأشياء (تعلمًا وظيفيًّا خبريًّا، Experiencial Learning). وتركز البرامج التربوية الحديثة على ضرورة ممارسة الأطفال لكثير من الأنشطة التي تساعد على تنميتهم في مواقف حياتية وضمن الروتين اليومي لهم بالروضة، وتقدم هذه البرامج النماذج والأمثلة العديدة للأنشطة التي تقع بصورة طبيعية، ويمر بها الأطفال ويمكن للمعلمة الماهرة أن تلفت أنظارهم لها، وتجعلهم يكررونها دون الحاجة لأدوات خاصة، وهذه الأساليب يمكن أن تكسبهم أصعب المفاهيم العقلية».

١٠ ـ استخدام البرنامج للمحفزات ترغيبًا وترهيبًا (الثمرات والمغبات) قد أسهم في إشعار الأطفال بأهمية ما أوصت به الآية بالنسبة لهم، كما قد أسهم في تحريك القلوب مما تسبب في زيادة الدافعية للعمل بالآية والقيام بكل حقوقها كاملة، فالنفس مجبولة على التفاعل مع الثواب والعقاب، والقلب مفطور على التحفز بالمرغبات والمرهبات، «فما أن يصل اليافع إلى سن السابعة حتى يلاحظ توظيفه شبه الكامل للدماغ بمناطقه المختلفة الملتزمة وغير الملتزمة في إدراك الأشياء والتبرير المنطقي، ويستطيع الطفل في هذا العمر كما يؤكد جان بياجيه القيام بعمليات التفكير المنطقي»[(١)]، وفي العادة «يندفع الأطفال نحو التعلم بوسائل خارجية، وليس من ذوات أنفسهم، ويستخدم المعلمون الترغيب والترهيب لجعلهم يهتمون ويقبلون على المذاكرة وحل الواجبات... أما الكبار فالدافعية داخلية»[(٢)].

---

(١) الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم، د.محمد زياد حمدان، (ص: ٤٠).

(٢) مهارات التدبر وتفعيلها لدى الأطفال والصغار، د.هاشم الأهدل (ص: ٥).

١١ ـ **استخدام البرنامج للصور والخرائط الذهنية** التي تشمل أمثلة واقعية قد أسهم في تعميق فهم الأطفال للآية وما يتعلق بها من تدبُّر وواجبات عملية؛ مما يَسَّر وحَسَّن تعلمها والعمل بها، فمن المعلوم أن الصور تزيد من عمق فهم معظم الأطفال.

١٢ ـ **استخدام البرنامج للدعوات** كعامل مساعد على العمل بما أوصت به الآية، والقيام بحقوقها كاملة، قد عاد على ما أوصت به الآية بمزيد بيان وتأكيد، وقد أشعر الطفل بأهمية ما أوصت به الآية حيث كان له مساحة لابأس بها من رقعة أدعية الوحي، كما كان سببًا لاستجلاب عون الله حقًّا، وهو الأهم.

١٣ ـ **عرض البرنامج لنماذج ممن قاموا بحقوق الآية وعملوا بما أوصت به**، قد أسهم في زيادة دافعية الطفل لتعلم الآية والعمل بها، فالقدوة لها أثرٌ كبير في ممارسات الأطفال على الخصوص، لاسيما إذا كان القدوة النبي ﷺ أو أحد إخوانه من الأنبياء أو أحد سلفنا الصالحين، وذلك يزيد الطفل تعلُّقًا بهم، ويوفر له نماذج وأساليب عملية منظورة لتطبيق الآية والعناية بها.

١٤ ـ **محاولة البرنامج تعليم الأطفال مهارة ربط ما يتعلمونه من القرآن بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلَى** من شأنه أن يوفر نوعًا جديدًا من المحفزات القوية للقلب، والمزكيات الفعالة للنفس، ويُرقِّي الأعمال إلى كمالها المنشود كيفًا وكمًّا؛ لتكون للخالق لا المخلوق، وذلك ـ ولاشك ـ أجلب للتيسير والتوفيق.

١٥ ـ **سماح البرنامج للأطفال بالتعبير عما يختلج بصدرهم**، والإخبار عما يدور بخلدهم، والإفصاح عن التفاعل الحاصل

بوجدانهم، لاسيما في مجموعة = قد كان عامل تنبيه لمن غفل من الطلاب، وعامل تحفيز للبعض الآخر؛ ليكونوا كإخوانهم، وعامل تحفيز للطفل ذاته لإعلانه عما دار بصدره، وينبغي عليه تصديقه بالعمل، ومن العوامل المساعدة في تشجيع الطفل على اكتساب المعرفة هو توفير الفرص المختلفة لإثراء تجربة الطفل الحسية والعاطفية مما يساعد على تطوير قدراته ومواهبه بدءًا من سنوات الطفولة المبكرة.

وإنَّ استخدام البرنامج للعاطفة في التعليم وعدم إغفال الأبعاد الوجدانية للعملية التعليمية له أكبر الأثر في تنمية القدرات العقلية، فقد أثبتت أبحاث ومشاهدات «جولمان» في كتابه (الذكاء العاطفي)، و«لودو» في كتابه (الدماغ العاطفي) أنَّ للعاطفة دورًا إيجابيًّا على الذاكرة؛ فالموصلات ترسل رسالة إلى باقي أجزاء الدماغ تعلمها أنَّ هذه التجربة الحسيَّة المقرونة بالعاطفة هي معلومة هامة للحفظ؛ لذا فإن مقدرتنا على إضافة العاطفة إلى عملية التعلم يجعلها ذات معنى ومثيرة للمتلقي، ويجعل الدماغ يوليها المزيد من الأهمية[(١)].

وقد أكد الباحثون أن للوجدان أهمية بالغة في حياة الإنسان، وأنه ملازم للتفكير لزوم الشيء لظله، بل الوجدان والتفكير عمليتان متداخلتان ومتكاملتان، وقد أكدت الدراسات المتعلقة بسير الأبطال والعلماء والعباقرة وكبار الأدباء أنَّ نجاحهم لا يرجع لكونهم أذكياء فحسب، وإنما لأنهم يتصفون بذكاء وجدانيٍّ عميق، ذلك الذكاء الذي يتمثل في المثابرة وقوة الصبر والتحمل والتفاؤل والحماس وعلو الهمة[(٢)].

---

(١) ينظر: في الطريق إلى تحول رئيسي، د. سمير حبيب مقلد (ص: ٩).

(٢) بناء الذات بين الذكاء الوجداني والتربية الإيمانية، د.عبد الله الشارف (ص: ٢).

١٦ ـ **وجود خطة تشغيلية موضوعية محددة مقاسة** لتطبيق ما أوصت به الآية جعل مسألة العمل بالآية يسيرًا، والطفل إذ يعمل بالآية فهو مع كل مرة يعمل فيها عملًا مما أوصت به الآية يستحضرها في عقله الباطن ويمرها على خاطره مرة أخرى في أروع صور التعاهد وأهمها وأيسرها: التعاهد بالعمل.

١٧ ـ **استخدام البرنامج لطريقة طرح المشكلات والبحث عن حلول لها**، كما في خطوة الخطة التشغيلية والتي تضع المعلمة فيها إشكالية: كيف يمكننا تطبيق ما أوصت به الآية في حياتنا الواقعية ومن خلال خطوات عملية محددة؟ وتناقشهم حتى يتفقوا على ماينبغي فعله. «فالطريقة الوحيدة المثلى لجعل الدماغ ينمو هي عن طريق حل مسائل تضع تحديات أمام الدماغ، وهذه التحديات تساعد على خلق وصلات جديدة ما بين التفرعات العصبية وبالتالي تحسين عملية التعلم... وحل المسائل يتم باستخدام وسائل متنوعة فهو يمكن أن يتم على الورق، أو باستخدام الإحصاءات، أو عن طريق النقاش أو من خلال عمل فني، وتنوع وسائل حل المسائل يعني في الوقت نفسه أن هناك طرقًا مختلفة لتطوير الخلايا العصبية عند الأطفال... (وإحساس التلاميذ بقدرتهم على حل المسائل، يزيد من إحساسهم بالجدارة والذي يؤدي بدوره إلى تقليل إفراز بعض الهرمونات المسببة للتوتر)، ومن الغريب أن الدماغ لايهتم في أن يحصل على أجوبة، فتطور الدماغ يحدث؛ لأن هناك عملية قائمة فقد يلتحق التلميذ بالمدرسة ويقضي اثنتي عشرة سنة من عمره وقلما يحرز إجابات صحيحة ولكنه في هذا الوقت يكون قد اكتمل نمو دماغه... والكثير من الألغاز والألعاب المتعلقة بالمفردات

وحتى المشاكل التي يتعرض لها في الحياة العملية، كلها تساعد على نمو الدماغ... وكلما كانت هذه المسائل أقرب إلى الواقع، كانت ذات تأثير أكبر»[(١)]. وهذا ولا شك يطور من ذكاء الطفل وينمي قدراته العقلية بشكل واضح، حيث يرى (جاردنر) صاحب نظرية الذكاءات المتعددة وغالب علماء النفس الآن أن «الذكاء إمكانية تتعلق بالقدرة على حل المشكلات وتشكيل النواتج في سياق خصب وموقف طبيعي»[(٢)]. ويقترح جاردنر أنَّ عقل الطفل يمكن توسيعه إلى مستويات عالية من الذكاء والفهم، بتعريضه للمشكلات ومطالبته بالحل[(٣)].

١٨ ـ **إشراك الأهل في البرنامج وحضهم على الإشراف على متابعة أطفالهم**، ومتابعة الطفل على أكثر من مستوى من خلال المعلمة ومن خلال الأهل = يُشعر الطفل بأهمية ما هو بصدده، فيزداد إقباله وحرصه على تعلمه والعمل به.

١٩ ـ **إعلان المعلمة عن مسابقة وجائزة لأحسن آداء في جداول المتابعة** قد أسهم في تحفيز الأطفال على العناية بالآية والقيام بما ينبغي عليهم نحوها.

٢٠ ـ **البرنامج لا يقتصر فحسب على الوسائل اللغوية؛ بل يتجاوزها إلى غيرها بما يتناسب مع كل أنواع الذكاءات تقريبًا**، وبالتالي يُمكِّن المعلومة بذاكرة الطفل مما يسهم في تيسير تعلمها والعمل بها، ومن

---

(١) في الطريق إلى تحول رئيسي، د. سمير حبيب مقلد (ص: ١٥).
(٢) الذكاءات المتعددة والفهم (تنمية وتعميق)، د.جابر عبد الحميد جابر (ص:٩).
(٣) الذكاءات المتعددة والفهم (تنمية وتعميق)، د.جابر عبد الحميد جابر (ص:١٨٩).

الشائع لدينا الربط بين التعلُّم والتذكُّر، فكأنَّ درجة النجاح في التعلُّم تظهر في القدرة على الاستظهار والاستحضار، وهذا يجنح بالمعلمين والمتعلمين إلى الاقتصار على الطريقة اللغوية من قراءة وضبط وتسميع وغيرها، وهم بذلك لا يتمكنون على أحسن الأحوال من الوصول إلا إلى ذاكرة أصحاب الذكاء اللغوي من الأطفال، ويعدُّون سواهم من الأطفال فشلة وأغبياء؛ لكن العلماء بيَّنوا أنَّ القدرة على إنشاء ذاكرة جيدة لدى الأطفال فيما يتعلق بشيء ما ترتبط بمخاطبة معظم الذكاءات الإنسانية بوسائل وأنشطة تناسب كل أصحاب الذكاءات؛ كاستخدام الوسائل البصرية والجماعية والتأملية وغيرها.

وهذا المنظور الجديد للذاكرة يقترح أنَّ التلاميذ الذين لديهم ذاكرة ضعيفة يحتمل أن تكون ذاكرتهم ضعيفة في ذكاء واحدٍ أو ذكاءين، وهما اللذان يقتصر عليهما معظم إستراتيجيات التدريس الشائعة في مدارسنا: الذكاء اللغوي والذكاء المنطقي (الرياضاتي)، ولمساعدة هؤلاء التلاميذ على أن يحسنوا مستواهم التذكريِّ للمادة العلمية في أي موضوع = فينبغي أن يدرَّس لهم بطريقة تنشط الذكاءات السبعة جميعها، وهذه مهمة المدرس: أن يُساعد التلاميذ على أن يربطوا المادة بمكونات الذكاءات المختلفة: الكلمات، الأعداد، الصور، الحركات الجسمية، الجمل الموسيقية، التفاعلات الاجتماعية، والمشاعر الشخصية، والخبرات، وبعد أن يكون التلاميذ قد تعرضوا لاستراتيجيات تذكر من جميع الذكاءات السبعة، سوف يقدرون على أن يختاروا تلك الاستراتيجيات التي تعمل على أفضل نحو بالنسبة لهم،

وسوف يقدرون على استخدامها على نحو مستقل خلال فترات الدراسة الشخصية[١].

٢١ ـ **توفير بيئة خالية من التوتر والضغط والانفعال**، وهي أمور من شأنها أن تحول بين الطفل وبين الحفظ أو التفاعل، فالانفعالات الشديدة تؤثر تأثيرًا بالغ الضرر على الوظائف والعمليات العقلية للفرد، كالإدراك والتذكر والتفكير[٢]، وتوجيه الولد إلى الاطلاع في سن مبكرة ينبغي ألا يكون إجباريًّا، إذ إنَّ إجباره على تعلم القراءة قبل استعداده لذلك يؤثر على اتِّزانه العاطفيِّ، إلى جانب أنه لن يتعلمها بسهولة ويسر؛ بل يفقد أولًا بأول ما يتعلمه، ويسوقه ذلك فيما بعد إلى كرهها وبغضها[٣]، لذا فالبرنامج غير مضغوط من ناحية الوقت، والمعلمة تؤدي بأريحية، وتتعامل مع الأطفال بهدوء وحلم وسعة صدر.

٢٢ ـ **تلافي العديد من معوقات الحفظ والقضاء عليها**، ويرى الزرنوجي أن أسباب النسيان ترجع إلى المعاصي، وكثرة الذنوب والهموم، والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلائق[٤]، ولذا راعى البرنامج تلافي مايخص الأطفال من تلك العوائق.

---

(١) ينظر: الذكاءات المتعددة والفهم (تنمية وتعميق)، د.جابر عبد الحميد جابر (ص: ١٨٥).

(٢) علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام (ص: ١٧٤) نقلًا عن مسئولية الأب المسلم في تربية الولد (ص: ٣١٥).

(٣) ينظر: تنمية وعي القراءة (ص: ٥٢)، نقلًا عن مسئولية الأب المسلم في تربية الولد (ص: ٣٤٦).

(٤) تعليم المتعلم في طريق التعلم (ص: ٩٧)، نقلًا عن مسئولية الأب المسلم في تربية الولد (ص: ٣١٥).

٢٣ ـ استخدام البرنامج للتغذية الراجعة في عملية التعليم، حيث تزيد التغذية الراجعة من قدرة الطفل على التأقلم، وتقلص في الوقت نفسه من الاستجابات الانفعالية، والدماغ نفسه مصمم لكي يعمل بطريقة التغذية الراجعة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي وبدون هذا النظام العظيم من التغذية الراجعة فإن عملية التعلم لا تتمُّ بكفاءة[(١)].

٢٤ ـ استخدام البرنامج للتعليم التعاوني، والذي يُشعر التلميذ بأهميته، ويوفر العناية والاهتمام به وإذا أحسَّ التلميذ بأهميته وبأنه محطُّ العناية؛ فإن دماغه يطلق الموصلات العصبية الخاصة باللذة؛ وهذا ما يجعل التلاميذ يستمتعون بعملهم، ويوفر التعلم التعاوني وسيلة رائعة للتغذية الراجعة الاجتماعية والعلميَّة[(٢)]، وقد أجمع الباحثون على أنَّ التعلم الاجتماعي والتعاوني من أفضل وأبقى أنواع التعلم[(٣)].

٢٥ ـ استخدام البرنامج لطرق تفاعلية تنمي حب الاستطلاع وتفيد منه، حيث إنه ينبغي «أن يكون للطفل دور فعال وأن يشارك فيما يقدم له من موادّ، وألا يقتصر دوره فيما يقدم له من مواد على التلقّي السلبي إلا في أضيق الحدود، ويجب أن يشكل جميع ما يقدم للطفل من مواد مثيرات تدفعه للقيام بالاستكشاف والنشاط الحر والتجريب النشط؛ لتحقيق تنميته معرفيًّا وعقليًّا[(٤)].

---

(١) ينظر: في الطريق إلى تحول رئيسي، د. سمير حبيب مقلد (ص: ١٣).
(٢) ينظر: في الطريق إلى تحول رئيسي، د. سمير حبيب مقلد (ص: ١٤).
(٣) ينظر: خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٣٨).
(٤) خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة للدكتورة ليلى كرم الدين (ص: ٣٧).

ولقد ضرب سلفنا الصالح ﷺ أروع المثل في ذلك، فقد قَالَ عُمَرُ ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟... فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»(١).

٢٦ ـ **استخدام البرنامج لطريقة العصف الذهني في التعليم،** ويستخدم العصف الذهني كأسلوب للتفكير الجماعي لحل الكثير من التحديات الحياتية المختلفة بقصد زيادة القدرات والعمليات الذهنية(٢).

٢٧ ـ **استخدام البرنامج لنوافذ بصرية وسمعية وحسية،** من خلال خطوة الفهم وغيرها من الخطوات، ويمكن القول: إنَّ برنامج التدبُّر يعطي المعلِّم مساحةً واسعةً لتوظيف إستراتيجيات تعليمية كثيرة ومتنوِّعة إذا قورن بطريقة الحفظ التقليديّ، وهو ما يعود على جودة التذكُّر للمادة المتعلَّمة.

٢٨ ـ **استخدام البرنامج لطريقة التعليم المبني على التفكير،** وهي طريقة تجعل الطفل «أكثر استمتاعًا وإثارة للتعلم، أكثر استيعابًا للخبرات المطروحة إليه، ترتفع قدراته التعلمية بشكل مثير، يكون أكثر قدرة على تنظيم متكامل للخبرة، اكتشاف أفضل المعلومات واتباع أفضل طرائق البحث نحو الخبرات يومًا بعد يوم»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٣١).

(٢) انظر: مقالة على الشبكة العنكبوتية بعنوان «حلقات تدبر القرآن» لخالد إبراهيم الحجي.

(٣) بحث الوحدات التعلمية في ضوء مهارات التفكير، حمدة علي الغامدي (ص: ١٠).

٢٩ ـ حرص البرنامج على **تعليم الأطفال منهجية سديدة في التفكير والتعلم والعمل**، «فلقد ساندت نتائج البحوث الحديثة في علم النفس المعرفي وتطبيقها على التربية والتعليم أن الأطفال يفيدون من المداخل التعليمية التي تساعدهم على تأمل عملياتهم التعليمية... وحين يندمج الأطفال في هذا النوع من النشاط ما بعد المعرفي، يستطيعون أن ينتقوا استراتيجيات مناسبة لحل المشكلة ويستطيعون أن يعملوا كمدافعين عن أنفسهم حين يوضعون في بيئات تعلم جديدة»[(١)].

(١) الذكاءات المتعددة والفهم (تنمية وتعميق)، د.جابر عبد الحميد جابر (ص: ٥٣).

الخلاصة والتوصيات

أَكَّدَ البحث نظريًّا وعمليًّا أنَّ التدبر ومنهج الإيمان قبل القرآن المشتمل عليهما برنامج (المتدبر الصغير) والذي يهدف إلى تعليم الأطفال القرآن بالمنهجية النبوية = قد **أسهما في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به**، كما أثمر العديد من الفوائد السلوكية والعملية والتعليمية للأطفال اللذين خضعوا للدراسةِ.

وقد كان البحث عبارة عن **إطارين**؛ الأول منه، كان **تنظيريًّا (أكاديميًّا)** يهدف إلى التأصيل لأمثل منهجية لتعليم الأطفال القرآن (المنهجية النبوية)، ومميزاتها والحاجة إليها والتحديات المتعلقة بإحيائها.

أما الثاني فكان **تطبيقيًّا (عمليًّا)** لتفعيل ماتم تأصيله نظريا من المنهجية النبوية في التعليم القرآني للأطفال، في واقع أطفالنا اليوم.

وكان أبرز الخطوات العملية التي تم اتخاذها في هذا الصدد أنه تم عمل **استبانة** بين ٥٠٠ من المعنيين والمعنيات بتعليم الأطفال القرآن الكريم، حول إمكانية تدريس التدبر للأطفال في سن مبكرة، ودوره في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به، فكانت النتائج والحمد لله إيجابية (٩٥٪).

بعد ذلك تم اختيار ١٠ معلمات **لتطبيق البرنامج** على أطفال تتراوح أعمارهم بين (٦ ـ ٨) سنوات، وتم تقسيم الأطفال بواقع خمسة أطفال لكل معلمة، قامت المعلمات بتدريس الآية الثانية من سورة تبارك بطريقة (الإيمان قبل القرآن)، وتدريس الآية الثالثة من سورة تبارك بالطريقة التقليدية الشائعة اليوم في الحضانات ودور التحفيظ، قامت المعلمات بمتابعة الإيمان والقرآن الذي تم تدريسه في الآية الثانية من تبارك، ومقارنة معدل إتقان وديمومة حفظ الطفل للآيتين الثانية والثالثة من تبارك، قام الأهل بعملية متابعة ومقارنة موازية لما قامت به المعلمات، أسفرت المتابعة والرصد عن نتائج شتى، يهمنا منها هنا أن التدبر وطريقة الإيمان والقرآن قد أسهما في تيسير وتحسين تعلم الآية الثانية من تبارك والعمل بها ودوام إتقانها، في الوقت الذي وجدت المعلمات فيه مشقة أكبر في تحفيظ الأطفال الآية الثالثة من تبارك وتناقص معدل إتقانهم لحفظها تدريجيا بعد يوم وثلاثة أيام وأسبوع.

لذا فإننا نوصي بالآتي:

١ ـ ضرورة العودة للمنهج النبويّ في تعليم الأطفال القرآن (الإيمان قبل القرآن)؛ فإنَّ من شأنه أن يجنبنا العديد مما نعاني منه اليوم من مشكلات، وأن يرتقي بأطفالنا نحو المعالي والمكرمات.

٢ ـ لابد للعلماء والمتخصصين أن يعملوا على تسديد المفاهيم لدى الجماهير، وإعادة الأمور إلى نصابها، وتوضيح الحقيقة الشرعية لكل المصطلحات التي تصف العلاقة بالقرآن، ومنهجية تعليمه المُثلى.

٣ ـ نوصي المؤسسات والهيئات القرآنية بتبني برنامج «المتدبر

الصغير» وتطبيقه على الدارسين بها؛ لأنَّ ذلك من شأنه أن يرتقي بها، ويقترب بها نحو السداد والتوفيق، فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

٤ ـ نقترح تدريس مادة إجبارية لكل من يتصدى للتعليم القرآني، تتناول المنهج المتكامل للنبي ﷺ في التعامل مع القرآن تعلمًا وتعليمًا للكبار والصغار.

٥ ـ نقترح تدريس «أثر القرآن في حياة المسلم وأهميته بالنسبة له»، قبل البدء في التعليم القرآني؛ ليزيد المتعلم للقرآن تعظيمًا له وإقبالًا عليه وإدراكًا لدوره وانتفاعًا به.

٦ ـ نقترح تدريس «طبيعة العلاقة بالقرآن الكريم» ومراد الله منا فيما يتعلق به، مع تحرير علميٍّ لكل المصطلحات التي تتناول علاقتنا بالقرآن كالصاحب والحامل وغيرها؛ ليقبل المتعلم على القرآن برؤية واضحة ومنهجية سديدة.

٧ ـ نقترح تدريس «حقوق القرآن»، قبل البدء في تعلمه لئلا تكون علاقته بالقرآن مبتورة أو ممسوخة.

٨ ـ نوصي بنشر ثقافة التدبر وتدريسه في دور التحفيظ والمعاهد العلمية، فكثير من المسلمين ـ بل والمتخصصين ـ قد لا يدركون ماهيته ولا مقصده ولا أهميته ولا فرضيته، وقد يفهمونه على غير حقيقته.

٩ ـ نوصي بتأهيل معلمي القرآن تربويًّا وتعليميًّا؛ لاسيما فيما يتعلق بوسائل التدريس وطرقه الحديثة وأنماطه المختلفة.

١٠ ـ نوصي إنشاء هيئة إسلامية عالمية متخصصة تُعنَى بشؤون تعليم الطفل المسلم وقضاياه.

المراجع والمصادر

* **أخلاق أهل القرآن**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، حققه: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٣؛ ١٤٢٤ هـ.

* **اقتضاء العلم العمل**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط٤؛ ١٣٩٧هـ.

* **الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان؛ ط٢.

* **برنامج التجيبي**، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي (المتوفى: ٧٣٠هـ)، تحقيق وإعداد: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، عام النشر: ١٩٨١ م.

* **بناء الذات بين الذكاء الوجداني والتربية الإيمانية**، د.عبد الله الشارف، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة «خصائصها واحتياجاتها» ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **تأسيس عقلية الطفل**، د. عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، ط١؛ ١٤٣٤هـ.

* **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس

الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

* **التحرير والتنوير**، مُحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٨٩٠م.

* **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

* **التعاهد بين النظرية والتطبيق**، د.محمود عبد الجليل روزن، وهو مخطوط لفضيلته أتحفنا به قبل نشره.

* **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢؛ ١٤٢٠هـ.

* **تفسير القرآن الكريم**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١؛ ١٤١٠ هـ.

* **التنشئة الاجتماعية للطفل العربي وعلاقتها بتنمية المعرفة**، د. سهام عبد الرحمن الصويغ (ص: ١١)، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة «خصائصها واحتياجاتها» ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١؛ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م.

* **جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري**، أبو جعفر مُحمد بن جرير الطبري (ت ٥١٤هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٠١١ هـ.

* **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه=** صحيح البخاري، البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، ط١؛ ١٤٢٢هـ.

* **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ط٢؛ ١٣٨٤هـ.

* **حقوق الطفل في الإسلام في مرحلة الطفولة المبكرة**، د. محمود بن إبراهيم الخطيب، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة «خصائصها واحتياجاتها» ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، دار السعادة ـ مصر، ١٣٩٤هـ.

* **خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة**، للدكتورة ليلى كرم الدين، ضمن أبحاث ندوة الطفولة المبكرة.

* **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين السيوطي (ت ٨١١ ه)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

* **الدماغ والإدراك والذكاء والتعلم**، د.محمد زياد حمدان، دار التربية الحديثة، عمّان، ط١؛ ١٩٨٦م.

* **الذكاءات المتعددة والفهم**، د.جابر عبد الحميد جابر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١؛ ٢٠٠٣م.

* **رياض الأطفال لمستقبل مضيء للأمة، ورقة عمل** ضمن بحوث الندوة

العلمية للطفولة المبكرة «خصائصها واحتياجاتها» ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧؛ ١٤١٥هـ.

* **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مُحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

* **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

* **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣؛ ١٤٠٥ هـ.

* **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١؛ ١٤١٥هـ.

* **شعب الإيمان**، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ.

* **صحيح الترغيب والترهيب**، الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر

الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط٥.

* **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

* **صفة الصفوة**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ.

* **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الدار السلفية ـ القاهرة، ط٢؛ ١٣٩٤هـ.

* **طفل يقرأ**، د.عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

* **العقد الفريد**، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

* **عقول الأطفال**، مارجريت دونالدسون، ترجمة عدنان الأحمد، دار معد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

* **فهم القرآن ومعانيه**، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر ـ بيروت، ط٢؛ ١٣٩٨هـ.

* **الفوائد**، ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢؛ ١٣٩٣هـ.

* **في الطريق إلى تحول رئيسي**، د. سمير حبيب مقلد (ص: ٨)، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة «خصائصها واحتياجاتها» ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة، ط١٧؛ ١٤١٢هـ.

* **القصة في منهج رياض الأطفال بالمملكة العربية السعودية، الواقع والمأمول**، د. صباح عبد الكريم عيسوي (ص: ٤)، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة «خصائصها واحتياجاتها» ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **قياس وتقييم النمو العقلي والمعرفي برياض الاطفال**، د. مريم داوود سليم، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة خصائصها واحتياجاتها: ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

* **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١؛ ١٤٠٩هـ.

* **مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، ط٣؛ ١٤٢١هـ.

* **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، عبد الحميد مُحمد بن باديس (ت ١٥٣٨هـ)، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

* **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

* **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١؛ ١٤٢٢هـ.

* **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ط١؛ ١٤٢٢هـ.

* **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣؛ ١٤١٦هـ.

* **المدخل**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ)، دار التراث، بدون طبعة وبدون تاريخ.

* **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١؛ ١٤٢١هـ.

* **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١؛ ١٤١٢هـ.

* **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**، د. عدنان حسن صالح باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١٠؛ ١٤٢٦هـ.

* **مشكاة المصابيح**، التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط٣؛ ١٩٨٥.

* **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١؛ ٢٠١٠م.

* **معرفة الصحابة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١؛ ١٤١٩ هـ.

* **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، مُحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢؛ ١٤٠٨هـ.

* **مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، د.خالد بن عبد الكريم اللاحم، الرياض، ط١؛ ١٤٢٥هـ.

* **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

* **مقدمة في أصول التفسير**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

* **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

* **المنتقى شرح الموطأ**، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن

وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة ـ مصر، ط١؛ ١٣٣٢هـ.

* **المنهج النبوي في التعليم القرآني**، د.عبد السلام مقبل المجيدي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الأردن، ط٢؛ ١٤٣٠هـ.

* **مهارات التدبر وتفعيلها لدى الأطفال والصغار**، د.هاشم الأهدل (ص: ٥)، ضمن بحوث الملتقى الثاني لتدبر القرآن الكريم، الرياض، ٢٠/ ٦/ ١٤٣١م.

* **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (المتوفى: ٨٩٤هـ)، المطبعة الكاستلية ـ مصر، ١٣٨٣هـ.

* **الوحدات التعلمية في ضوء مهارات التفكير**، حمدة علي الغامدي، ضمن بحوث الندوة العلمية للطفولة المبكرة خصائصها واحتياجاتها: ٢٦ ـ ٢٨/ ٨/ ١٤٢٥هـ برعاية اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.